سلسلة كتب حرص السلف و تفريط الخلف (١١)
حـــرص السلف
على
المحاسبة وتفـــريط الخـــلف
تأليف أبو أسماء
الشيخ السيد مراد سلامة

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]

حقوق الطبع والنشر مكفولة لكل مسلم يبتغي الأجر والثواب

الناشر المكتبة المرادية

١٤٤١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسا و سيئات أعمالنا ؛ من يهده الله فلا م ضل له ومن ي ضل فلا هادي له ، وأ شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿ ـيَا أَيُّهَا لـلَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُ سْلِمُونَ [آل عمران : ١٠٢]﴾ .

﴿ـيَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ لـلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء : ١] ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُ صْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١]﴾ .

أمـــا بعـــد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

ثـــم أمـــا بعـــد :

عن عبد الله قال: قال ر سول الله صلى الله عليه و سلم (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[1]

فخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ولن يمكن الله تعالى للأمة ولن ينصرها على عدوها وعدو دينها إلا إذا اقتفت الأمة أثر سلفها الصالح ،يقول إمام دار الهجرة ، مالك- رحمه الله- (ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وما لم يكن يومئذ ديناً فليس باليوم ديناً), [2]

وإنما صلح أول هذه الأمة بكتاب ربنا وسنة نبينا -صلى الله عليه وسلم-وفي هذا السفر تكلمتُ عن سلف هذه الأمة وحرصهم على الطاعات والمنافسة على العمل الصالح

---

[1] – أخرجه عبد بن حميد (ص ١٤٨ ، رقم ٣٨٣) ، وابن أبى شيبة (٤٠٤/٦ ، رقم ٣٢٤٠٨) ، وابن قانع (١٥٤/١) ، والطبراني (٢٨٥/٢ ، رقم ٢١٨٧) والحاكم (٢١١/٣ ، رقم ٤٨٧١) . وأخرجه أيضًا : ابن أبى عاصم في السنة (٦٢٩/٢ ، رقم ١٤٧٦) .و قال الشيخ الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : ٣٢٩٣ في صحيح الجامع

[2] – تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي – (ص ٥١) و الاعتصام للشاطبي ١١١/١

الذي يُرضي الله –عز وجل – وكان سبب ذلك أعني كتابة هذا السفر غربة الإسلام التي أخبر بها النبي ﷺ فعن أبي هريرة– رضي الله عنه □ قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا فطوبى للغرباء) (٣)

قال يونس بن عبيد: ليس شيء أغرب من السنة وأغرب منها من يعرفها.

وحرص خلف هذه الأمة على ما يضرها وتفريطهم في جنب الله تعالى وإفراطهم في التكالب على الدنيا ونيل شهواتها.... وحرصهم على الخلود في الأرض حتى أن الواحد منهم يود أن يعمر ألف سنة ونسي أن الله كتب على نفسه البقاء وعلى خلقه الفناء، فكان ذلك سبب من أسباب دُلهم وتكالب الأمم عليهم وذلك هو الوهن الذي أخبر به النبي ﷺ بقوله (حب الدنيا وكراهية الموت)(٤)

لذا يحتاج المسلم الصادق أن يتعرف في وسط تلك الخطوب والمدلهمات على أصله الضارب في أعماق الزمن لأنه شجرة باسقة تضرب جذروها في عمق هذا الزمان منذ آدم عليه السلام وحتى محمد ﷺ ثم أتباعه الأخيار ومن سار على منهجه من المهاجرين والأنصار ومن اقتدى بهم من التابعين الأخيار ...

و في هذا الرسالة الحادية عشر نقف مع □حرص السلف على المحاسبة وتفريط الخلف□

يقول سبحانه وتعالي ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [الحشر : ١٨] ﴾. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فأنه لأهون ، أو قال : أيسر لحسابكم ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتجهزوا للعرض الأكبر) □يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ□ [الحاقة: ١٨] (٥)

وبينت للقارئ فضل المحاسبة وأثرها على حياة المسلم وذكرت محاسبة السلف الصالح لأنفسهم و شدة خوفهم من الله تعالى، ثم تطرقت إلى أحوال الخلف وهم هائمون في

---

٣ – أخرجه أحمد (٧٣/٤ ، رقم ١٦٧٣٦) و أخرجه مسلم ح ١٤٥، و ابن ماجه [٣٩٨٦]

٤ – أخرجه وأحمد ح (٢١٣٦٣)، و أبو داود ح (٣٧٤٥)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ح (٥٣٦٩).

٥ – أسد الغابة جـ١ ص٨٢٨ ، جامع الأحاديث – (٢٦ / ٤٣٤)أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٠٣/١ ، رقم ٣٠٦) ، وابن أبى شيبة (٩٦/٧ ، رقم ٣٤٤٥٩) ، وأبو نعيم في الحلية (٥٢/١) ، وابن عساكر (٣١٤/٤٤

ملذاتهم، غارقون في شهواتهم لا يحاسب الواحد منهم نفسه ولا يخطمها حتى لا تورده موارد الهلكة والبوار، فيا خلف الأمة كونوا خير لخلف لخير سلف

واشتملت الكتاب على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: فضل المحاسبة والحث عليها.

الفصل الثاني: أنواع المحاسبة وفوائدها.

الفصل الثالث: حرص السلف على محاسبة أنفسهم وتفريط الخلف.

وصلوات الله وسلامة على إمام السلف المبعوث رحمة للعالمين، وقدوة للعالمين، ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين ...

إن شئت أن تحظى بجنَّة ربنا وتفوز بالفضل الكبير الخالد

فانهض لفعل الخير واطرق بابه تجد الإعانة من إلهٍ ماجد

واعكف على هذا الكتاب فإنه جمع الفضائل جمع فذٍ ناقد

يهدي إليك كلام أفضل مرسل فيما يقرب من رضاء الواحد

فأدم قراءته بقلب خالص وادع لكاتبه وكلِّ مساعد

تأليف:

أبو أسماء/ السيد مراد عبد العزيز سلامة

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

abo_hamam2012@yahoo.com
hamam4111@gmail.com

الفصل الأول

فضل المحاسبة والحث عليها

اعلم علمني الله وإياك: أن المسلم لابد من أن يحاسب نفسه على أقواله وأفعاله في سفرة وحضره، يحاسبها على العمل سواء كان الأمر يتعلق بالدين أو الدنيا، أو كان يتعلق به في خاصته أو يتعلق بغيرة من إخوانه، فإن ذلك هو أسلم الطرق للنجاة من النار ومن شدة المحاسبة في الآخرة

تعريف المحاسبة والمحاسبة هي: مصدر من حاسب يحاسب مأخوذ من حسب حسبت الشيء أحسبه حسانا إذا عدده والحساب والمحاسبة عدك الشيء هذا معناها في اللغة أنها العد.

وفي الاصطلاح: عرفها الإمام الماوردي فقال: المحاسبة أن يتصفح الإنسان في ليله ما صدر من أفعاله نهاره فإن كان محمودا أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموما استدركه إن أمكن وإن لم يمكن فيتبعها بالحسنات لتكفيرها وينتهي عن مثلها في المستقبل،

وعرفها بعضهم بأنه: قيام العقل على حراسة النفوس من الخيانة على التقصير والخطأ وإذا أمكن المعاقبة أو صرفها إلى الحسنات الماحية ؟، ولقد جاء الحث على المحاسبة في كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) وفي أقوال الصحابة والتابعين

يقول الشيخ محمد المنجد حفظه الله: والمحاسبة قضية مهمة للغاية تدور عليها السعادة ولا يحصل الصلاح إلا بها محاسبة النفس أمر عظيم جدا،

والمحاسبة من قام بها اليوم أمن من غدا، والمحاسبة أن تنظر نفسك وتتأمل فيها وتعرف عيوبها،

والمحاسبة لا نجاة إلا بها ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [المجادلة : ٦] ﴾.

والمحاسبة تصدر من التأمل في هذه النصوص.

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ المحاسبة انطلاقا من آثار قوله **تعالى ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ**

نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْ ضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ [آل عمران : ٣٠] ﴾ .

والمحاسبة تنطلق من الإيمان باليوم الآخر وأن الله يحاسب فيه الخلائق وقد حذرنا الله من ذلك اليوم فقال سبحانه وتعالى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [البقرة : ٢٨١] ﴾

محا سبة النفس طريقة المؤمنين وسمة الموحدين وعنوان الخا شعين فالمؤمن متق لربه محا سب لنفسه م ستغفر لذنبه يعلم أن النفس خطرها عظيم وداؤها وخيم ومكرها كبير و شرها م ستطير فهي أمارة بال سوء ميالة إلى الهوى داعية إلى الجهل ، قائدة إلى الهلاك تولقة إلى اللهو إلا من رحم الله فلا تترك لهولها لأنها داعية إلى الطغيان ، من أطاعها ، قادته إلى القبائح ودعته إلى الرذائل وخا ضته به المكارة ... وغوائلها عجيبة ونزعاتها مخيفة و شرورها كثيرة فمن ترك سلطان النفس حتى طغى فإن له يوم القيامة مأوي من جحيم ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى [النازعات : ٣٧ - ٣٩] ﴾ وعلى النقيض ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى [النازعات : ٤٠ ، ٤١] ﴾ .

الدليل على المحاسبة

الآية التي أمرنا الله فيها بالمحا سبة هي قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [الحشر: ١٨] ﴾ تنظر أي تفكر و تتفكر.

يقول الـ شيخ عبد الرحمن الـ سعدي □ رحمه الله □ يأمر الله عباده المؤمنين بما يوجبه الإيمان ويقتضيه من لزوم تقواه سرا وعلانية في جميع الأحوال وأن يراعوا ما أمرهم الله به من أوامر ، وحدود وينتظروا ما لهم عليهم وماذا حـ صلوا عليه من الإعمال التي تنفعهم وتـ ضرهم يوم القيامة فإنهم إذا جعلوا الآخرة نـ صب أعينهم وقبلة قلوبهم واهتموا للمقام بها واجتهدوا في كثرة الأعمال المو صلة إليها وتـ صفيتها من القواطع والعوائق التي توقف عن الـ سيرة أو تعوقهم أو تـ صرفهم وإذا علموا أن الله خبير بما يعملون لا تخفي عليه أعمالهم ولا تضيع لديه ولا يهملهما أوجب لهم الجد والاجتهاد .

وقال الشيخ : عن هذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه وأنه ينبغي له أن يتفقدها فإن رأى ذنب تدركه عنه بالإقلاع والتوبة النصوح والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه وإن رأى نفسه مقصرا في أمر الله بذل جهده واستعان بربه في تتميمه وتكميله وإتقانه ويقايس بين منن الله عليه وبين تقصيره هو في حق الله فإن ذلك يوجب الحياء لا محالة والحرمان كل الحرمان أن يغفل العبد عن هذا الأمر ويشابه قوما نسوا الله وغفلوا عن ذكره والقيام بحقه وأقبلوا على حظوظ أنفسهم وشهواتها فلم ينجحوا ولم يحصلوا على طائل بل أنساهم الله مصالح أنفسهم وأغفلهم عن منافعها وفوائدها فصار أمرهم فرطا فرجعوا بخسارة الدارين وغبنوا غبنا لا يمكن تداركه ولا يجبر كسره لأنهم هم الفاسقون(٦)

ويقول بن الجوزي رحمه الله. في هذه الآية: أي ولتنظر نفس ما قدمت لغد أي لتنظر أحدكم أي شيء قدم أعملا صالحا ينجيه أم سيئا يوبقه ، ولا تكونوا كالذين نسوا الله أي تركوا أمره فأنساهم أنفسهم أي أنساهم حظوظ أنفسهم فلم يعملوا بالطاعة ولم يقدموا خيرا قال ابن عباس يريد بني قريظة وبني قينقاع . (٧)

ويقول العلامة ابن كثير □ رحمه الله □ في هذه الآية.

ولتنظر نفس ما قدمت لغد ، أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الـ صالحة ليوم معادكم وعر ضكم على ربكم ﴿ واتقوا الله ﴾ تأكيد ثان ﴿ إن الله خبير بما تعملون ﴾ أي اعلموا لأنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تخفي عليه منكم خافية ولا يغيب عن أموركم جليل ولا حقير ، وقوله تعالى ﴿ **ولا تكونوا كالذين نـ سوا الله فأنـ ساهم أنف سهم** ﴾ أي لا تنـ سوا ذكر الله تعالى فينـ سكم العمل لـ صالح أنف سكم التي تنفعكم في معادكم كما قال تعالى □**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَا سِرُونَ**□ [المنافقون: ٩].. وخطب أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) فقال : أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم فمن ا ستطاع أن يق ضي الأجل وهو في عمل لله عز وجل فليفعل ، ولن تنالوا ذلك إلا بـالله عز وجل ، إن قوما جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم الله عز وجل أن تكونوا أمثالهم

---

٦ سلسلة أعمال القلوب جزء ٣ .

٧ – زاد المسير تفسير سورة الحشر .

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩]

أين من تعرفون من إخوانكم ؛قدموا على ما قدموا في أيام سلفهم وخلوا بال شقوة وال سعادة ، أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحصنوها الحوائط ؛ قد صاروا تحت الصخر والآبار ، هذا كتاب الله لا تفني عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمه ..(٨)

فالواجب على العبد أن يكون قواما على نفسه آمر لها بالمعروف وناهيا عن المنكر، شاكرا ربه على الطاعة، ومستغفر من ذنبه الذي صدر منه، فعندها يجد العبادة حلاوة الطاعة ومرارة المعصية

حث السلف على محاسبة النفس

اعلم زادك الله علما: -أن سلف هذه الأمة تواتره أقوالهم على الحث على محاسبة العبد نفسه والوقوف بها عند الخطرات وغيرها،

عن وهب بن منبه: قال مكتوب في حكمة آل داود: حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعة يناجي فيها ربه.

وساعة يحاسب فيها نفسه.

وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه، ويصدقونه عن نفسه.

وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذاتها، فيما يحل ويحمد في هذه الساعة عونا على تلك الساعات وإجماما للقلوب. (٩)

وحق على العاقل أن لا يرى ظاعنا إلا في ثلاث

زاد لميعاد،

أو مرمة لمعاش،

أو لذة في غير محرم،

وحق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه ، حافظا للسانه على شأنه .

---

٨ – تفسير ابن كثير جـ٤ .

٩ . مجموع الفتاوى لابن تيميه جـ٢٨ ص٣٦٨ ، وإحياء علوم الدين جـ٤ ص٤٠٢ ،و. أخبار أصبهان – (رقم ١٩٨)و الزهد لهناد – (٢ رقم ١٢٢٦) طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الأصبهاني – (رقم ٢٧٤)

قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)..: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، فإنه أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفي منكم خافية . (١٠)

وكتب عمر (رضي الله عنه) إلى بعض عماله: فكان في أخر كتابه : أن حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة ، فإن من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة عاد مرجعه إلى الرضى والغبطة، ومن ألهته حياته وشغلته شهواته ، عاد مرجعه إلى الندامة والحسرة ، فتذكر ما توعظ به لكي تنتهي عما ينهي عنه (١١)

وقال الحسن بن أبي الحسن: فإذا علم العبد أنه خلق وحده ويموت وحده، ويحاسب وحده ، وما قدر الله له من الذنوب والخطايا لا يحمله عنه غيره يكون حذرا ويتوقع رسولا رب العالمين عند كل كلمة وعند كل خطوة ، والدنيا ميدان الله والمؤمنون خيل الله اليوم المضمار ، وغدا السباق ، ولا يجاوز الصراط إلا كل ضامر مهزول من خشية الله . (١٢)

وصية أبي بكرة إلى معاوية □ رضي الله عنهما □

قال معاوية (رضي الله عنه) لأبي بكرة: هل عندك من عهد تعهده إلينا قال : نعم : أعهد إليك يا أمير المؤمنين : أن تنظر لنفسك ورعيتك وتعمل صالحا فإنك تقلدت عظيما خلافة الله في خلقه ، فاتق الله فإن لك غاية لا تعدوها ومن ورائك طالب حثيث وأوشك أن يبلغ المدى فيلحق الطالب فتصير إلى من يسألك عما كنت فيه وهو أعلم به منك وإنما هي محاسبة وتوفيق ، فلا تؤثرون على رضا الله شيئا . (١٣)

الحسن البصري □ رحمه الله □ قال : المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله عز وجل وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شق

---

١٠ –. سبق تخريجه

١١ – تاريخ دمشق جـ٤٤ ص٣٣٥ .، و الزهد الكبير للبيهقي – (رقم ٤٦٩)و محاسبة النفس – (رقم ١٦)

١٢ – طبقات المحدثين بأصبهان جـ٢ ص٣٤٨.

١٣ – تاريخ الطبري جـ٣ ص١٧١ والبداية والنهاية جـ٨ ص٢٢.

الحساب يوم القيامة أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ، إن المؤمن يفاجأ الشيء وبعجبه الشيء فيقول : الله إني لأشتهيك وإنك لمن حاجتي ولكن والله ما صلة إليك هيهات حيل بيني وبينك ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول هيهات ما أردت إلى هذا ومالي ولهذا ، والله ما أعذر بهذا ولا أعود إلى هذا أبدا إن شاء الله ، ومالي ولهذا والله ما أعذر بهذا والله لا أعود إلى هذا أبدا إن شاء الله ، إن المؤمنين قوم أوقفهم القران وحال بينهم وبين هلكتهم إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته لا يأمن شيئا حتى يلقى الله ، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وفي بصره وفي لسانه وفي جوارحه . (١٤)

وقال الحسن البصري □ رحمه الله -في قوله تعالى، □وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ□ [القيامة: ٢] قال : « لا يلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بأكلتي ماذا أردت بشربتي والعاجز يمضي قدما لا يعاتب نفسه(١٥)

وقال رحمه الله: حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الذنوب، واقرعوا هذه الأنفس، فإنها طلعة وإنها تنازع إلى شر غلية، وإنكم إن تعانوها لا تبقي لكم من أعمالكم شيئا فتصبروا وتشددوا، فإنما هي أيام قلائل وإنما ركب وقوف، يوشك أن يدعي الرجل منكم فيجب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم (١٦)

أبو الدرداء. (رضي الله عنه). قال: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت نفسه في جنب الله، ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتا، (١٧)

وقال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه): من مقت نفسه في ذات الله أمنه الله من مقته (١٨)

---

١٤ – المحاسبة رقم ١٧، و الزهد لابن المبارك –(رقم ٣٠٧) ذم الهوى – (ص: ٤١)و تهذيب الكمال – (٣١ / ٥٣١)

١٥ – المحاسبة رقم ٤ ،

١٦ – أدب النفوس للآجري –(رقم ١٨)و المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني – (رقم ٣١٨٧) و أدب المجالسة – (ص : ١٠٩) الكامل في اللغة و الأدب – (١ / ١٦٩)

١٧ –جامع الأحاديث – (٣٨ / ٣٣٣) أخرجه ابن عساكر (١٧٢/٤٧)وسير أعلام النبلاء – (٤ / ٥٣٩) الحلية ٥ / ٢١٢.، محاسبة النفس – (رقم ٢٣)

١٨ – جامع الأحاديث – (٢٥ / ٩٣)و[كنز العمال ٨٧٥٢] أدب النفوس للآجري – (رقم ٦) الزهر الفاتح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح – (١ / ٢٧) حلية الأولياء – (٢ / ٣٥٠) محاسبة النفس – (رقم ٢٢)

وقال ميمون بن مهران □ رحمه الله □ لا يكون الرجل تقيا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه [١٩]

وقال مالك بن دينار □ رحمه الله □ رحم الله عبدا قال لنفسه النفيسة ألست صاحبة كذا وكذا ثم ذمها ثم خطمها ، ثم ألزمها كتاب الله فكان لها قائدا . [٢٠]

وقال قتادة □ رحمه الله: ، □وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا□ [الكهف: ٢٨] قال : « أضاع أكبر الضيعة أضاع نفسه وعسى مع ذلك أن تجده حافظا لما له ، مضيعا لدينه » [٢١]

وقال وهب بن منبه: الإيمان قائد والعمل سائق والنفس بينهما حرون فإذا قاد القائد ولم يسق السائق لم تغن ذلك شيئا، وإذا ساق السائق ولم يقد القائد لم يغن ذلك شيئا، فإذا قاد القائد وساق السائق، اتبعه النفس طوعا وكرها وطاب العمل، [٢٢]

وقال الفضيل بن عياض: عن إبراهيم بن الأشعث، سمع فضيل بن عياض، يقول في قوله عز وجل □وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ□ [النساء: ٢٩] قال: «**لا تغفلوا عن أنفسكم**» ثم قال: «من غفل عن نفسه فقد قتلها» [٢٣]

---

[١٩] المحاسبة لأبن أبي الدنيا رقم ٧، و الزهد لوكيع – (٢٢٣)و ذم الهوى – (ص : ٤٣)

[٢٠] المحاسبة رقم ٨

[٢١] – المحاسبة رقم ٥

[٢٢] – أدب النفوس للآجري – (رقم ١٤)و بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب (١ / ٢٧)و السلوك في طبقات العلماء والملوك – (١ / ١٠٢)

[٢٣] – المحاسبة رقم ٩٦، و ذم الهوى – (ص : ٤٩)و حلية الأولياء – (٨ / ١١١)

الفصل الثاني

أنواع المحاسبة وفوائدها

أخي المسلم... أختي المسلمة ... بعد أن عشنا مع كتاب الله و سنة رسوله والصحابة والتابعين وهم يحثون على المحاسبة وعرفنا من خلال كلامهم أن من حاسب نفسه في الدنيا قبل حساب الآخرة فإن الله يسهل عليه الحساب يوم القيامة فهيا لنرى مقام المحاسبة ونرى كيف يحاسب العبد نفسه وعلى أي شيء تكون المحاسبة؟ .

يقول الإمام الغزالي رحمه الله : أما بعد فقد قال الله تعالى﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ [الأنبياء : ٤٧] ﴾ وقال تعالى ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا [الكهف : ٤٩] ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ﴾ [المجادلة ٦]

وقال تعالى يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [المجادلة: ٦] ﴾

وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾

وقال تعالى يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ [آل عمران : ٣٠] ﴾

. وقال تعالى واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ﴾

فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد وأنهم سيناقشون الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس والأنفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال وجوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته ، فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه إلا طاعة الله وقد أمرهم بالصبر والمرابطة فقال عز من قائل ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] فرابطوا

أنف سهم أولا بالم شارطة ثم المراقبة ثم بالمحا سبة ثم المعاقبة ، ثم بالمجاهدة ، ثم المعاتبة ، فكانت لهم في المرابطة ست مقامات ولابد من شرحها وبيان حقيقتها وفضلتها وتفصيل الأعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطه ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة

المقام الأول من المرابطة: المشارطة.

اعلم أن مطالب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما أن التاجر يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل ، هو للتاجر في طريق الآخرة وإنما مطلبه وربحه تزكية النفس لأن بذلك فلاحها قال الله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠] وإنما فلاحها بالإعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة إذا يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر ، بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما أن الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج إلى أن يشارطه أولا ويراقبه ، ثانيا ويحاسبه ، ثالثا ويعاقبه أو يعاتبه ، رابعا فكذلك العقل يحتاج إلى مشارطه النفس ، أولا فيوظف عليها الوظائف ويشترط عليها الشروط ويرشدها إلى طريق الفلاح ويحزم عليها الأمر بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فإنه لو أهملها لم ير منها إلا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن إذا خلاله ونفرد بالمال ، ثم بعد الفراغ ينبغي أن يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فإن هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الأنبياء والشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيرا من تدقيقه في أرباح للدنيا مع أنها محتقرة بالإضافة إلى نعيم العقبى ثم كيف ما كلنت فمصيرها إلى التصرم والانقضاء ولا خير في خير لا يدوم ... فحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضيق عليها في حركاتها و سكناتها وخطراتها وخطواتها ،فإن كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن أن يشتري بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبدا الآباد فانقباض هذه الأنفاس ضائعة أو مصروفه إلى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل ، فإذا أصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي أن يفرغ قلبه ساعة لمشارطه النفس كما أن التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطة

فيقول للنفس : مالي بـ ضاعة إلا العمر ومهما فني فقد فني رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح ، وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه وأنسأ في أجلي وأنعم علي ـبه ولو توفاني لكنت أتمني أن يرجعني إلى للدنيا يوما واحدا حتى أعمل فيه صالحا ـفاح سبي لأنك ـقد توفيت ثم ـقد رددت ـفإياك أن تـ ضيعي هذا اليوم ـفإن ـكل نفس من الأنفاس جوهرة لا قيمة لها وأعلمي يا نفس أن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر: أنه ينـ شر للعبد بكل يوم وليلة أربع وعـ شرون خزانة مـ صفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملؤة نورا من حـ سناته التي عملها في تلك الـ ساعة فينال من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار التي هي وسيلته عند الملك الجبار ما لو وزع على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عن الإحساس بألم النار

ويفتح له خزانة أخرى سودا مظلمة يفوح منها نتنها ويغـ شاه ظلمها وهي الـ ساعة التي عـ صى فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قـ سم على أهل الجنة لتنغص عليهم نعيمهما ، ويفتح له خزانة فارغة ليس فيها ما يسره ولا يسوءه ...

ثم ليستأنف لها وصية في أعضائه السبعة وهي العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وتسليمها إليها فإنها رعايا خادمة لنفسه في التجارة وبها تتم أعمال هذا التجارة (٢٤)

فينبغي على العبد أن يحفظ تلك الأعضاء التي هي من نعم الله عليه ويشارطها ألا تستعمل إلا في طاعة خالقها وواهبها سبحانه وتعالى، ثم يقف العبد من نفسه ليشارطها أن تقوم بالواجبات والطاعات التي فرضها الله عليها في اليوم والليلة ولا يفرط في أمر الله فعليه أن يحافظ على القيام بالصلوات في جماعة مع المسلمين وألا يشغله شاغل عن أقامتها في جماعة ثم يحافظ على أركانها و شروطها وآدابها حتى كأنه يصلي كما كان يصلي رسول الله (صلى الله عليه و سلم) ويحذرها من نقرها نقر الديكة لا يذكر الله فيها إلا قليل .... ثم يحثها على القيام بحقوق الآخرين التي أمر بها الله وحث عليها رسوله) صلى الله عليه و سلم) ... ثم ليجعل لسانه رطبا بذكر الله ويلجمه بلجام، أمسك عليك لسانك.

---

٢٤ – الأحياء جـ٤ ص٣٩٣ ٣٩٥ .

المقام الثاني: مقام المراقبة.

يقول ابن قدامه رحمه الله إذا أوصي الإنسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه لم يبق إلا المراقبة لها وملاحظتها وفي الحديث الـ صحيح في تفـ سيره الإحـ سان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ([٢٥])

أراد بذلك استحضار عظمة الله ومراقبته في حال العبادة،

قيل: دخل الشبلي على ابن أبي الحسن النوري وهو قاعد ساكن لا يتحرك من ظاهره شيء، فقال له: ممن أخذت هذه المراقبة والسكون؛ فقال: من سنور كانت لنا، إذا أرادت الصيد رابطت رأس الجحر حتى لا يتحرك لها شعره.

وينبغي أن يراقب الإنـ سان نفـ سه قبل العمل وفي العمل هل حركة عليه هوى النفس أو المحرك له هو الله تعالى خاصة؛ فإن كان لله تعالى أمضاه وإلا تركه وهذا هو الإخلاص

قال الحـ سن: رحم الله عبدا وقف عند همه، فإن كان الله تعالى مـ ضي وإن كان لغيره تأخر ([٢٦]) فهذه مراقبة العبد في الطاعة وهو أن يكون مخلصا فيها،

مراقبته في المعـ صية تكون بالتوبة والندم والإقلاع، ومراقبته في المباح تكون بمراعاة الأدب والـ شكر على النعم فإنه لا يخلو من نعمة لابد له من الـ شكر عليها، ولا يخلو من بلية لابد من الصبر عليها وكل ذلك من المراقبة.

المقام الثالث: المحاسبة بعد العمل.

ـقال الله تعالى ﴿ ـيَا أَيُّهَا ـلَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ ـمَا ـقَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [الحـ شر : ١٨] ﴾ وهذه إ شارة إلى المحا سبة بعد مـ ضي العمل ، ولذلك قال عمر (رضي الله عنه) : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ،

وقال الحـ سن: المؤمن قوام على نفـ سه، يحا سب نفـ سه، قال: إن المؤمن يفجؤه الـ شيء يعجبه فيقول: ما أردت إلى هذا، مالي ولهذا؛ والله لا أعود إلى هذا أبدا إن شاء الله،

---

[٢٥] – أخرجه أحمد (٤٢٦/٢ ، رقم ٩٤٩٧) ، والبخاري (٢٧/١ ، رقم ٥٠) ، ومسلم (٣٩/١ ، رقم ٩) ، وابن ماجه (٢٥/١ ، رقم ٦٤) .و أخرجه النسائي (١٠١/٨ ، رقم ٤٩٩١) .

[٢٦] – بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب – (١ / ٤٦٣) و التذكرة الحمدونية – (١ / ٣٨٤)

إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم،

إن المؤمن أسير في الدنيا ، يسعى في فكاك رقبته ، لا يأمن شيئا حتى يلقي الله عز وجل ، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وفي بصره وفي لسانه وفي جوارحه مأخوذ عليه في ذلك كله)[٢٧]،

واعلم أن العبد كما ينبغي أن يكون له وقت في أول النهار يـ شارط فيه نفـ سه، كذلك ينبغي أن يكون له ساعة يطلب فيها نفـ سه في آخر النهار، ويحاـ سبها على جميع ما كان منها كما يفعل التجار في الدنيا مع الـ شركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم ، معني المحاـ سبة : أن ينظر في رأس المال وفي الربح وفي الخـ سران لتتبين له الزيادة من النقـ صان فراس المال في دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل ، وخسرانه المعاصي ، وليحاسبها أولا على الفرائض وإن ارتكب معصية اشتغل بعقابها ومعاقبتها يستوفي منها ما فرط ، قيل : كان توبة بن الصمة : بالرقة وكان محاسبا لنفسه ، فحسب يوما فإذا هو ابن ستين سنة ، فحـ سب أيامها فإذا هي أحد وعـ شرين ألف يوم وخمـ سمائة يوم فـ صرخ وقال : ياويلنا ، ألقي الملك بأحد وعـ شرون ألف ذنب وخمـ سمائة ذنب ؟؟! كيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب !! ثم خر مغشيا عليه فإذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول: يا لها ركضه إلى الفردوس الأعلى، فهكذا ينبغي للعبد أن يحاسب نفسه على الأنفاس وعلى معصية القلب والجوارح في كل ساعة، فإن الإنسان لو رمي بكل معصية يفعلها وهي مثبته ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

المقام الرابع: معاقبة النفس على تقصيرها.

اعلم أن المريد إذا حاـ سب نفـ سه فرأي منها تقـ صيرا، أو فعلت شيئا من المعاـ صي فلا ينبغي أن يهملهما، فإنه يسهل عليه حينئذ مقارفة الذنوب ويعسر عليه فطامها، بل ينبغي أن يعاقبها عقوبة مباحة كما يعاقب أهله وولده.

قال بعـ ضهم يبوخ نفـ سه ويحك يا نفس كأنك لا تؤمنين بيوم الحـ ساب وتظنين أنك إذا مت وانفلت وتخلصت تتركين هيهات هيهات، أما تعلمين أن الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراـ شك، والدود أنيـ سك، والفزع الأكبر بين يديك اعملي يا نفس بقية عمرك في أيام قـ صار لأيام طوال وفي دار زوال لدار مقام، وفي دار حزن ونكد وكبد وذ صب

---

[٢٧] – صفة الصفوة – (٣ / ٢٣٥) و ذم الهوى – (ص : ٤١) إحياء علوم الدين – (٤ / ٤٠٤

ولغب وهموم لدار سرور وأفراح ونعيم وخلود وهناء اعملي قبل طي الـ صحيفة اخرجي من للدنيا خروج الأتقياء الأحرار قبل أن تخرجي خروج الأ شقياء على الا ضطرار ولا تفرحي بما يـ ساعد من زهرة الدنيا فرب م سرور مغبون ورب مغبون لا يشعر وويل لمن له الويل ثم لا يشعر، يضحك ويفرح، ويلهو ويمرح، ويأكل ويشرب، وقد حق له في كتاب الله أنه من وقود النار نسأل الله المعافاة في الدنيا والآخرة.(٢٨)

ويحك يا نفس احرصي على ارتياد المخلص
وطاوعي وأخلصي واستمعي النّصح وعي
واعتبري بمن مضى من القرون وانقضى
واخشي مفاجاة القضا وحاذري أن تخدعي
وانتهجي سبل الهدى وادّكري وشك الرّدى
وأنّ مثواك غدا في قعر لحد بلقع
آها له بيت البلى والمنزل القفر الخلا
ومورد السّفر الأولى واللّاحق المتبع
بيت يرى من أودعه قد ضمّه واستودعه
بعد الفضاء والسّعه قيد ثلاث أذرع
لا فرق أن يحلّه داهية أو أبله
أو معسر أو من له ملك كملك تبّع

ويحك يا نفس البَدار البدار ما هذه الدنيا لحي بدار
ما بعد موت المصطفى خالد وليس في الدنيا لحيّ قرار
صلى عليه الله ما أشرقت كواكب الصبح وناح الهزار

ولنستمع إلى المحاسبي وهو يحدث نفسه محاسبا ومعاتبا:

ويحك إن الدنيا دار نجاة الآخرة .... إن الجامعين بدلوا الأحزان في الدنيا فورثوها في الآخرة دوام السرور، ويحك فلا تدعي معاملة مولاك في دار العمل فتخسري الدنيا والآخرة .. ، ويحك يا نفس أين تلاوة القرآن ؟ وأين معاني الآثار؟ وأين الشكر لمن لا تعرفين منه إلا الإحسان؟ رضيت بأحوال الجاهلين ومنازل الغافلين وأعمال الفاسقين، ويحك يا نفس أليس قد انقطع عنك كل لذة وزالت عنك كل رفاهية وانقضت

---

٢٨ - مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار (٣/ ٨٣)

الساعات والأيام وما كان فيها من التخليط والذنوب وبقيت عليك الأوزار هذا ما قد قضى وذهب .... وبقي السؤال، فهكذا تستقبلين أيامك .... ما يكون منها وما يبقى عليك من التبعات فتحولي عما ينقضي ويبقى سوء عاقبته ...(٢٩)

ولننظر إلى أنموذج آخر في كيفية معاتبة النفس أورده أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ حيث يقول: (وسبيلك أن تقبل عليها فتقول لها: يا نفس ما أعظم جهلك، تدّعين الحكمة والذكاء والفطنة وأنت أشدّ الناس غباوة وحمقاً!! أما تتدبرين قوله ـ تعالى ـ: ((اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ*مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ *لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ...)) [الأنبياء: ١ ٣] ويحك يا نفس! إن كانت جرأتك على معصية الله لاعتقادك أن الله لا يراكِ فما أعظم كفرك! وإن كان مع علم باطلاعه عليكِ فما أشدّ وقاحتك وأقلّ حياءك! ويحك يا نفس!! لو كان الإيمان باللسان فلِمَ كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار؟!! ويحك يا نفس! لا ينبغي أن تغرّكِ الحياة الدنيا، ولا يغرّكِ بالله الغرور... فما أمرك بمهمّ لغيرك، ولا تضيّعي أوقاتك؛ فالأنفاس معدودة، فإذا مضى عنكِ نَفَسٌ فقد مضى بعضُك. ويحك يا نفس! أوَ ما تنظرين إلى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا، ثم ذهبوا وخلوا؟ اعملي يا نفس بقيّة عمرك في أيام قصار لأيّام طوال، وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود) (٣٠).

المقام الخامس: المجاهدة.

وهو أنه إذا حاسب نفسه، فينبغي إذا رآها قد قارفت معصية أن يعاقبها كما سبق، فمن رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل، أو ورد من الأوراد، فينبغي أن يؤدبها بثقيل الأوراد عليها، كما ورد عن ابن عمر) (ر ضي الله عنه) أنه فاتته صلاة في جماعة، فأحيا الليل كله تلك الليلة، وإذا لم تطاوعه نف سه على الأوراد فإنه يجاهدها ويكرهها ما استطاع

وقال ابن المبارك: إن الـ صالحين كانت أنف سهم تواتيهم على الخير عفوا وإن أنف سنا لا تواتينا إلا كرها. (٣١)

---

٢٩ ـ التربية الذاتية من الكتاب والسنة (ص: ٨٦)

٣٠ ـ الإحياء، ٦٠٥/٤.

٣١ – غذاء الألباب شرح منظومة الآداب – (٢ / ٣٥١) منهاج القاصدين ص٣٤٢ ☐ ٣٢٧ باختصار

فهذا فيض من غيض مما ذكره العلماء في مقام المحا سبة فإن سألت عن أنواع المحا سبة ما هي يقول ابن القيم رحمه الله: ومحاسبة النفس نوعان: قبل العمل وبعده،

ـفأما النوع الأول: فهو أن يقف عند أول همه وإرادته ولا يبادرـبالعمل حتى يتبينـله رجحانه على تركه،

قال الحـ سن رحمه الله: رحم الله عبدا وقف عند همة فإن كان لله مـ ضي وإن كان لغيره تأخر

و شرح هذا بعـ ضهم : فقال : إذا تحركت النفس لعمل من الأعمال وهم به العبد وقف أولا ونظر : هل ذلك العمل مقدور له أو غير مقدور ولا مستطاع فإن لم يكن مقدورا لم يقدم عليه وإن كان مقدور وقف وقفه أخرى ونظر ؛ هل فعله خير له من تركه أو تركه خيرـله من فعلهـفإن ـكان الثاني تركه ولم يقدم عليه وإن ـكان الأول وقف وقفةـثالثة ونظر هل البلعث عليه إدارة وجه الله عز وجل وثولبه أو إدارة الجاه والثناء والمال من المخلوق فإن كان الثاني لم يقدم عليه وإن أفـ ضي به إلى مطلوبة لئلا تعتاد النفس الـ شرك ويخف عليها العمل لغير الله فبقدرـما يخف عليها ذلك يثقل عليها العمل لله تعالى حتى يـ صير أثقل شيء عليها وإن كان الأول وقف وقفة أخرى ونظر هل هو معان عليه وله أعوان يساعدونه وينصرونه إذا كان العمل محتاجا إلى ذلك أم لا فإن لم يكن له أعوان أمـ سك عنه كما أمـ سك النبي (صلى الله عليه و سلم) عن الجهاد بمكة حتى صار له شوكة وأنـ صار . وإن وجده معانا عليه فليقدم عليه فإنه منـ صور ولا يفوت النجاح إلا من فوت خـ صلة من هذه الخـ صال و إلا فمع اجتماعها، لا يفوته النجاح، فهذا أربعة مقلمات يحتاج إلى محا سبة نفـ سه عليها قبل العمل فماـكلـما يريد العبد فعله يكون مقدورلـله ولا كل ما يكون مقدرا له يكون فعله خيرا له من تركه ولا كل ما يكون فعله خيرا له من تركه يفعله لله، ولا كل ما يفعله لله يكون معانا عليه، فإذا حا سب نفـ سه على ذلك تبين له ما يقدم عليه وما يحجم عنه.

النوع الثاني: محاسبة النفس بعد العمل وهو ثلاثة أنواع: -

أحدها: محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله تعالى فلم توقعها على الذي الوجه الذي ينبغي، وحق الله تعالى في الطاعة ستة أمور تقدمت وهي: -

١-الإخلاص في العمل.

٢-النصيحة لله فيه.

٣-متابعة الرسول فيه.

٤-شهود مشهد الإحسان فيه.

٥-شهود منة الله.

٦-شهود تقصيره فيه فيحاسب نفسه.

هل وَفّى هذه المقامات حقها وهل أتى بها في هذه الطاعة

الثاني: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيرا له من فعله،

الثالث أن يحاسب نفسه على أمر مباح أو معتاد، لم فعله؛ وهل أراد به الله والدار الآخرة فيكون رابحا أو أراد به الدنيا وعاجلها فيسخر ذلك الربح ويفوته الظفر به [٣٢]

أركان المحاسبة

بعد أن تعرفنا على أنواع المحا سبة وكيف يحققها العبد فما هي أركان المحا سبة التي تقوم عليها تلك المنزلة ؟؛ ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله: في كتلبه مدارج الـ سالكين منزلة المحاسبة ثم تكلم عن أركانها فقال رحمه الله: قال صاحب المنازل المحاسبة لها ثلاث أركان

الركن الأول: أن تقاس بين نعمته وجنايتك.

يعني تقايس بين ما من الله، وما منك فحينئذ يظهر لك التفاوت وتعلم أنه ليس إلا عفوه ورحمته، أو الهلاك والعطب. وبهذه المقايسة تعلم أن الرب رب والعبد عبد ، ويتبين لك حقيقة النفس وصفاتها ، وعظمة جلال الربوبية وتفرد الرب بالكمال الأفضال وأن كان نعمة منه ف ضل ، وكل نقمة منه عدل ، وأنت قبل هذه المقاي سة جاهل بحقيقة نف سك وبربوبية فاطرها وخالقها ، فإذا قايست ظهر لك أنها منبع كل شر وأساس كل نقص ، وأن حدها ، الجاهلة الظالمة وأنه لو لا ف ضل الله ورحمته بتزكية لها ما زكت أبدا ،ولولا هداه ما اهتدت ، ولولا إر شاده وتوفيقه لما كان لها و صول إلى خير البتة ، وأن ح صول ذلك لها من بآرائها وفاطرها ، فكذلك ليس لها من ذاتها كمال الوجود ، فليس لها من ذاتها إلا العدم عدم للذات وعدم الكمال ، فهناك تقول حقا أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي ، ثم تقياس بين الح سنات وال سيئات ، فتعلم أيهما أكثر وأرجح ، وهذه

---

[٣٢] – إغاثة اللهفان جـ١ ص٩٠-٩١ .

المقايسة الثانية بين أفعالك وما منك خاصة ، وهذه المقايسة تشق على من ليس له ثلاثة أشياء ،

نور الحكمة،

وسوء الظن بالنفس

وتميز النعمة من الفتنة،

يعني أن هذا المقاي سة والمحا سبة تتوقف على نور الحكمة وهو النور للذي نوّر الله به قلوب أتباع الرسل وهو نور الحكمة ، فبقدره ترى التفاوت وتتمكن من المحاسبة ، ونور الحكمة هاهنا هو العلم الذي يميز به العبد بين الحق والباطل والهدى والضلال ، والضار والنافع ، والكامل والناقص ، والخير والشر ويبصر به مراتب الأعمال ، راجحها ومرجوحها مقبولها ومردودها وكلما كان حظه من هذا النور أقوى ، كان حظه من المحاسبة أكمل وأتم وأما سوء الظن بالنفس ، فإنما احتاج إليه لأن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش ، ويلبس عليه ، فيرى المساوئ محاسن والعيوب كمالا ، فإن المحب يرى مساوئ محبوبه وعيوبه كذلك

فعين الرضى عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تُبدي المساويا

ولا يسيء الظن بنفسه إلا من عرفها ومن أحسن ظنه بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه، أما تميز النعمة من الفتنة: فليفرق بين النعمة التي يرى بها الإحسان واللطف، يعان بها على تحصيل سعادته الأبدية وبين النعمة التي يرى بها الاستدراج، فكم من مستدرج بالنعم وهو إلا يشعر، مفتون بثناء الجهال عليه، مغرور بقضاء الله حوائجه وستره عليه !! وأكثر الخلق عندهم، أن هذه الثلاثة علامة السعادة والنجاح، ذلك مبلغهم من العلم، فإن كملت هذه الثلاثة فيه عرف حينئذ أن ما كان من نعم الله عليه يجمعه الله عليه فهو نعمة حقيقة وما فرقه عنه وأخذ منه فهو البلاء في صورة النعمة والمحنة في صورة المنحة فليحذر فإنما هو مستدرج ويميز بذلك أيضا بين المنة والحجة، فكم تلبس إحداهما عليه بالأخرى ...

الركن الثاني: أن تميز ما للحق عليك من وجوب العبودية

والتزام الطاعة، واجتناب المعصية، وبين مالك وما عليك فالذي لك هو المباح الشرعي، فعليك حق ولك حق فأد ما عليك يؤتك مالك، ولابد من التميز بين ما لك وما عليك،

وإعطاء كل ذي حق حقه، وكثير من الناس يجعل كثيرا مما عليه من الحق من قسم ماله فيتحير بين فعله وتركه، وإن فعله رأى أنه فضل قام به لاحق أداه وبإزاء هؤلاء من يرى كثيرا مما له فعله وتركه من قسم ما عليه فعله أو تركه، فيتعمد بترك ماله فعله كترك كثير من المباحات ويظن ذلك حقا عليه أو يتعبد بفعل ما له تركه ويظن ذلك حقا ...

الركن الثالث: أن تعرف أن كل طاعة رضيتها منك فهي عليك وكل معصية عيرت بها أخاك فهي إليك

رضاء العبد بطاعته دليل على حسن ظنه بنفسه وجهله بحقوق العبودية وعدم عمله بما يستحقه الرب جل جلاله ويليق أن يعامل به

وحاصل ذلك أن جهله بنفسه وصفاتها وآفاتها وعيوب عمله وجهله بربه وحقوقه وما ينبغي أن يعامل به يتولد منهما رضاه بطاعته وإحسان ظنه بها ويتولد من ذلك من العجب والكبر والآفات ما هو أكبر من الكبائر الظاهرة من الزنا وشرب الخمر والفرار من الزحف ونحوها

فالرضا بالطاعة من رعونات النفس وحماقتها

وأرباب العزائم والبصائر أشد ما يكونون استغفارا عقيب الطاعات لشهودهم تقصيرهم فيها وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه وأنه لولا الأمر لما أقدم أحدهم على مثل هذه العبودية ولا رضيها لسيده (٣٣)

الناظر في الشرائع التي شرعها تجد أن الله تعالى يطلب من عبيده أن يستغفروه عقب القيام بها، ليستشعر كل عبد أنهما زال مقصرا وإن كان في الظاهر إليه أن مجتهد و إن صام حتى يكون كالوتر، وصلى حتى يكون كالحنايا ففي الحج يقول الله ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩] وقال في أهل القيام ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، وقال بعض العارفين: متى رضيت نفسك وعملك لله، فأعلم أنه غير راضي به، ومن عرف أن نفسه مأوي كل عيب وشر وعمله عرضه لكل آفة ونقص

---

٣٣ – مدارج السالكين جـ١ ص١٩٠ ١٩٥ باختصار.

كيف يرضى عمله .... فمتي قام العبد بتلك الأركان كان من الذين حققوا المحاسبة في أنفسهم ويرجى لهم إن شاء الله أن يخفف الله عنهم الحساب يوم القيامة.

فوائد المحاسبة

أخي المسلم... أختي المسلمة ... بعد أن عرفنا أركان المحاسبة وأن المحاسبة لا تكون نافعة إلا إذا اعتمدت على تلك الأركان الثلاثة فهيا لنرى الفوائد التي يجنيها المحاسب لنفسه بعد المحاسبة

يقول ابن القيم رحمه الله: وفي محاسبة النفس عدة مصالح منها :-

* **الاطلاع على عيوبها،** ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته فإذا اطلع على عيبها مقتها في ذات الله، وقد روي الإمام أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتا،

ثم تأمل أخي المسلم إلى أحوال السلف وحرصهم الشديد على محاسبة أنفسهم ومقتها في جنب الله: -

مطرف بن عبد الله.

يقول لولا ما اعلم من نفسي لقليت الناس.

أبو بكر المزني. يقول إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لو لا أني كنت فيهم.

أيوب السختياني. إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بمعزل

إلى قال ابن القيم-ومن فوائد محاسبة النفس: أنه يعرف بذلك حق الله تعالى، ومن لم يعرف حق الله تعالى عليه فإن عبادته لا تكاد تجدي عليه وهي قليلة المنفعة جدا،

وقد قال الإمام أحمد. عن وهب قال: بلغني أن نبي الله موسى عليه السلام مر برجل يدعو ويتضرع فقال: يا رب ارحمه، فإني قد رحمته فأوحى الله إليه: لو دعاني حتى تنقطع قواه ما استجبت له حتى ينظر في حقي عليه.

فمن أنفع ما للقلب النظر في حق الله على العباد ، فإن ذلك يورثه مقت نفسه والازدراء عليها ويخلصه من العجب ورؤية العمل ويفتح له باب الخضوع والذل والانكسار بين يدي ربه واليأس من نفسه وأن النجاة لا تحصل له إلا يعفو الله ومغفرته ورحمته فإن من حقه أن يطاع فلا يعصى، وإن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر ، فمن نظر في هذا

الحق الذي لربه عليه علم ، علم اليقين أنه غير مؤد وأنه لا يسعه إلا العفو والمغفرة وأنه إن أحيل على عمله هلك فهذا محل نظر أهل المعرفة بالله تعالى ونفوسهم ، وهذا الذي أيأسهم من أنفسهم وعلق رجاءهم كله بعفو الله ورحمته ، وإذا تأملت حال أكثر الناس وجدتهم بضد ذلك ، وينظرون في حقهم على الله ، ولا ينظرون في حق الله عليهم ، ومن هاهنا انقطعوا عن الله ، وحجبت قلوبهم عن معرفته ومحبته والشوق إلى لقائه والتنعم بذكره وهذا غاية جهل الإنسان بربه ونفسه محاسبة النفس هو نظر العبد في حق الله عليه أولا ، ثم نظره هل قام به كما ينبغي ثانيا ، وأفضل الفكر فكر في ذلك فإنه يسير القلب إلى الله ويطرحه بين يديه ذليلا ، خاضعا منكسرا كسرا فيه جبره ومفتقرا فقرا فيه غناه ، وذليلا فيه عزه ولو عمل من الإعمال ما عساه أن يعمل ، فإنه إذا فاته هذا ، فالذي فاته في البر أفضل من الذي أتي ، وقال الإمام أحمد ... عن أبي الخلد أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا ، وإذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك ، وإذا قمت بين يدي فقم مقام العبد الحقير الذليل وذم نفسك فهي أولى بالذم وناجني حين تناجني بقلب وجل ولسان صادق. (٣٤)

ومن فوائد نظر العبد في حق الله عليه: -

أن لا يتركه ذلك يدل بعمل أصلا ، كائنا ما كان ومن أدل بعمله لم يصعد إلى الله تعالى ، كما ذكر الإمام أحمد عن بعض أهل العلم بالله أنه قال له رجل ، إني لأقوم في صلاتي فأبكي حتى يكاد ينبت البقل من دموعي ، فقال له : إنك إن تـ ضحك وأنت تعترف لله بخطيئتك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك ، فإن صلاة الدال لا تـصعد فوقه ، فقال له : أو صني ، قال : عليك بالزهد في الدنيا وأن لا تنازعها أهلها وأن تكون كالنحلة إن أكلت أكلت طيبا وإن وضعت وضعت طيبا ، و إن وقعت على عود لم تضره ولم تكسره ، وأو صيك بالنـصح لله عز وجل نـصح الكلب لأهله ، فإنهم يجيعونه ويطردونه ويأبى إلا أن يحوطهم وينصحهم ، (٣٥)ومن هنا أخذ الشاطبي قوله ، وقد قيل

كن كالكلب يقصيه أهله ولا يأتلي في نصحهم متبذلا

---

٣٤ – الدر المنثور جـ٣ ص٥٤١ وحلية الأولياء جـ٦ ص٥٥.

٣٥ – الزهد لأحمد بن حنبل – (١ / ٩٧)

وقال الإمام أحمد: عن الجريري قال : بلغني أن رجلا من بني إسرائيل كانت له إلى الله عز وجل حاجة فتعبد واجتهد ، ثم طلب إلى الله تعالى حاجته فلم ير نجاحا ، فبات ليلة مزريا على نفسه وقال : يا نفس مالك لا تقضي حاجتك ، فبات محزونا قد أزرى على نفسه والزم إطلاقه نفسه، فقال: أما والله ما من قبل ربي أُتيت ولكن من قبل نفسي أُتيت، وألزم نفسه الملامة فقضيت حاجته. (٣٦)

من فوائدها: تزكية النفس وتطهيرها وإصلاحها وإلزامها أمْر الله تعالى. قال تعالى: **[قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا] [الشمس : ٩ ، ١٠]** ، وقال مالك بن دينار: (رحم الله عبداً قال لنفسه: ألستِ صاحبة كذا؟ ألستِ صاحبة كذا؟ ثم ذمّها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله عز وجل فكان لها قائداً) (٣٧) .

(أنها تربّي عند الإنسان الضمير داخل النفس ، وتنمّي في الذات الشعور بالمسؤولية ووزن الأعمال والتصرّفات بميزان دقيق هو ميزان الشرع) (٣٨) .

حكى الغزالي في (الإحياء) أنّ أبا بكر رضي الله عنه قال لعائشة رضي الله عنها عند الموت: (ما أحدٌ من الناس أحبّ إليّ من عمر) ثم قال لها: (كيف قلتُ؟) فأعادت عليه ما قال، فقال: (ما أحدٌ أعزّ عليّ من عمر) ! ! يقول الغزالي : (فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبّرها وأبدلها بكلمة غيرها) (٣٩)

---

٣٦ – الزهد للإمام أحمد ص٩٧ . ، إغاثة اللهفان

٣٧ - إغاثة اللهفان لابن القيم (٧٩) .

٣٨ - التربية الذاتية لهاشم علي أحمد (٩٨)

٣٩ - إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ، ٥٨٧/٤

الـفـصل الثالث

حـرص السلف على المحاسبة وتفــريط الخــلف

بعد أن عشنا في رياض القرآن والسنة وتعرفنا على المحاسبة وأنواعها وأركانها وفوائده، هيا لنرى حرص السلف من الصحابة والتابعين على محاسبة أنفسهم وكيف نظروا إليها وعلموا أنه لا نجاة لهم من شدائد وأهوال يوم القيامة إلا إذا حاسبوا أنفسهم في الدنيا.

محاسبة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه).

عن قيس قال رأيت، أبا بكر آخذ بطرف لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد. (٤٠)

محاسبة عبد الله بن رواحة (رضي الله عنه). .

عن الحكم بن عبد السلام بن نعمان بن بشير الأنصاري، أن جعفر بن أبي طالب حين قتل دعا الناس، يا عبد الله بن رواحه، يا عيد الله بن رواحه وهو جانب العـ سكر ومعه ضلع جمل ينهشه، ولم يكن ذاقا طعاما قبل ذلك بثلاث، فرمى بالضلع ثم قال: وأنت في الدنيا؛ تقدم ثم قاتل فأصيب أصعبه فارتجز فجعل يقول: -

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيـــل الله مـا لقيـت
يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حياض الموت قد صليت (٤١)

وإن تأخرت فقد شقيت

ثم قال:ـيا نفس إلى أي شيء تتوقين، إلى فلانة، هي طالق ثلاثا، وإلى فلان، غلمانـله وإلى معجف حائط له فهو لله ٠٠ ولرسوله: -

يا نفس مالك تكرهين الجنة أقســـــم بالله لتـــنـــزلنـــه
طائعـــة أولا لتـــكـــرهنـــــه فطال ما قد كنت مطمئنة
هل أنت إلا نطفه في شنه قد أجلب الناس وشدوا الرنة.

محاسبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

---

٤٠ – أداب النفوس – (ص : ٤٤) – صفة الصفوة جـ١ ص٨٧ و . الرياض النضرة في مناقب العشرة –(ص : ٩١)

٤١ – أسد الغابة جـ١ ص٦٠٨ وتاريخ دمشق جـ٢٨ ص١٢٦ وصفة الصفوة جـ١ ص١٥٤.

روي عنه أنه كان يضرب قدميه بالدرة كل ليلة، ويقول: ماذا عملت اليوم. ([٤٢])

وروي عنه أيضا: أنه عاقب نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بأن تصدق بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم.

وهذا ابن عمر □ ر ضي الله عنهما -، إذا فلتته صلاة جماعة أحيا تلك الليلة وأخر المغرب حتى طلع كوكبا فأعتق رقبتين.

عن أنس (رضي الله عنه). قال سمعت عمر يوما وخرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول: وبيني وبينه جدار وهو في جوف الحائط: عمر بن الخطاب بخ والله لتتقين الله ابن الخطاب أو ليعذبنك ([٤٣])

□وجاء رجل يشكو إلى عمر وهو مشغول فقال له: أَتَتْركون الخليفة حين يكون
□فارغاً حتى إذا شُغِل بأمر المسلمين أتيتموه؟ وضربه بالدرّة، فانصرف الرجل
□حزيناً، فتذكّر عمر أنه ظلمه، فدعا به وأعطاه الدرّة، وقال له: (اضربني كما
□ضربتُك) فأبى الرجل وقال: تركت حقي لله ولك. فقال عمر: إما أن تتركه لله
□فقط، وإما أن تأخذ حقّك) فقال الرجل: تركته لله. فانصرف عمر إلى منزله
□فصلّى ركعتين ثم جلس يقول لنفسه: (يا ابن الخطاب: كنتَ وضيعاً فرفعك الله،
□وضالاً فهداك الله، وضعيفاً فأعزّك الله، وجعلك خليفةً فأتى رجلٌ يستعين بك على
□دفع الظلم فظلمتَه؟!! ما تقول لربّك غداً إذا أتيتَه؟ وظلّ يحاسب نفسَه حتى أشفق الناس عليه) ([٤٤])

محاسبة أبي بكرة (رضي الله عنه).

قال معاوية لأبي بكرة، هل عندك من عهد تعهده إلينا، قال: نعم أعهد إليك يا أمير المؤمنين، أن تنظر لنفسك ورعيتك وتعمل صالحا فإنك تقلدت عظيما خلافة الله في خلقه فإن لك غاية لا تعدوها ومن ورائك طالب خشيت وأوشك أن يبلغ المدى فيلحق الطالب فتصير إلى من يسألك عما كنت فيه وهو أعلم به منك وإنما هي محاسبة وتوفيق

---

[٤٢] – الأحياء جـ٤ ص٤٠٧

[٤٣] – الأحياء جـ٤ ص٤٠٨، ذم الهوى –(ص: ٤١)

[٤٤] - مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابن الجوزي، ١٧١.

فلا تؤثرن على رضا الله شيئا. (٤٥)

محاسبة تميم الداري (رضي الله عنه).

عن محمد بن المنكدر قال: أن تميما الداري نام ليلة لم يقيم يتهجد حتى أصبح فقام سنة لم ينم عقوبة للذي صنع. (٤٦)

فهذا حال تميم (ر ضي الله عنه) حا سب نف سه على انه لم يقيم ليلة ف صام سنة فما بال الخلف الذين ينامون عن صلاة الفجر ولا ي صلونها في جماعة بل الواحد منهم يفرط في الفرائض وربما لا يصلها أصلا فأين الثرى من الثريا ؟.

محاسبة مالك بن دينار. (رحمه الله)

عن مالك بن دينار قال: «رحم الله عبدا قال لنفسه: ألست صاحبة كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثم ذمها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله تعالى، فكان لها قائدا» (٤٧)

محاسبة إبراهيم التيمي □ رحمه الله □.

قال مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها، ثم مثلت نف سي في النار أكل من زقومها وأ شرب من صديديها ، وأعالج سلا سلها وأغلالها ، فقلت لنف سي أي نفس أي شيء تريدين ؛ قالت : أرد إلى الدنيا فأعمل صالحا ، قال : قلت : فأنت في الأمنية فاعملي .

محاسبة أبي بكر المزني □ رحمه الله:-

عن معتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: قال بكر يعني ابن عبد الله المزني أو قال رجل: « لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنه قد غفر لهم لولا أني كنت فيهم »)(٤٨)

---

٤٥ – تاريخ الطبري جـ٣ ص١٧١.

٤٦ – بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب –(١ / ٢٢٨) و تاريخ دمشق – (١١ / ٧٧)و محاسبة النفس – (رقم ٥٥

٥٥

٤٧ – اعتلال القلوب للخرائطي – (رقم ٣٧) تاريخ دمشق – (٥٦ / ٤٢٠)و البصائر والذخائر – (١ / ١١٣) محاسبة النفس – (رقم ٨)

٤٨ – محاسبة النفس – (رقم ٢٦

*****

محاسبة مالك بن دينار رحمه الله:

- عن جعفر بن سليمان، قال : قال مالك بن دينار : « أذكر الصالحين ، فأف لي وتف »[٤٩]

محاسبة أيوب السختياني رحمه الله

عن وهيب بن خالد قال: سمعت أيوباً يقول: إذا ذكر الصالحون كنت منهم بمعزل [٥٠]

محاسبة سعيد بن السائب رحمه الله

قال سفيان الثوري: جلست ذات يوم أحدث ومعنا سعيد بن السائب الطائفي فجعل سعيد يبكي حتى رحمته، فقلت: يا سعيد ما يبكيك وأنت تسمعني أذكر أهل الخير وتعاليمهم قال يا سفيان، وما يمنعني من البكاء وإذا ذكر مناقب أهل الخير كنت منهم بمنعزل، قال سفيان حق له أن يبكي. [٥١]

محاسبة يونس بن عبيد رحمه الله:

قال أني لأعد مائة خصلة من خصال الخير ما اعلم أن نفسي واحدة منها. [٥٢]

محاسبة حمد بن واسع رحمه الله:

قال إسماعيل بن عليه: قال بلغني عن محمد بن واسع قال: لو كان للذنوب ريح ما قدر أحد أن يجلس إلي. [٥٣]

محاسبة ثابت البناني رحمه الله .

---

[٤٩] –محاسبة النفس – (رقم ٢٧)

[٥٠] – بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب – (٢ / ٤٢)و المجالسة وجواهر العلم – (رقم ٣٦٣)و محاسبة النفس – (٢٨)

[٥١] – صفة الصفوة – (٢ / ٢٨٤) و محاسبة النفس – (رقم ٢٩)

[٥٢] – محاسبة النفس – (رقم ٤٣)و الآداب الشرعية – (١ / ٧٢)

[٥٣] – المحاسبة رقم ٣٧ ، و تاريخ دمشق – (٥٦ / ١٥٨)

عن جعفر بن سليمان، قال: لقي مالك بن دينار ثابتا البناني فقال له ثابت: يا أبا يحيى، كيف بك ؟ قال : « كيف بمن هو ظاهر العيوب كثير الذنوب مستور على غير استحقاق ؟ فكيف بك يا أبا محمد؟ » قال: فكتف ثابت يده ومد عنقه وخفض رأسه، وقال : هذا عذر الخطائين الأشراء . قال : وأقبلا يبكيان حتى سقطا (٥٤)

محاسبة غزوان بن غزوان الرقاشي

عن هارون بن رئاب، أن غزوان، وأبا موسى كانا في بعض مغازيهم فتكشفت جارية فنظر إليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت وقال: «إنك للحاظة إلى ما يضرك (٥٥)

محاسبة يحيى بن يحيى □ رحمه الله □.

قال الذهبي-رحمه الله -، ويروي أن يحيى بن يحيى شرب دواء فقالت زوجته قم فتمشى في الدار، قال: أنا أحب أن أحاسب نفسي أربعين سنة على خطاي فما أعلم ما هذه المشية. (٥٦)

فتأمل أخي حال يحيى بن يحيى كيف أنه توقف عن المشي لأنه ما يعلم هذه المشية التي تريد زوجته أن يمشيها، وما ذاك إلا لأنهم كانوا يحاسبون أنفسهم عن كل خطوة هل هي لله وهل تعود عليه بالخير أم بالشر.

محاسبة الإمام سحنون □ رحمه الله □ .

قال: أكل بالمسكنة خير من أكل بالعلم محب الدنيا أعمى لم ينوره العقل، ما أقبح بالعالم أن يأتي الأمراء فيقال هو عند الأمير، والله ما دخلت على سلطان إلا خرجت حاسبت

---

٥٤ – محاسبة النفس رقم ٤٦، و. تاريخ دمشق – (٥٦ / ٤١٢)

٥٥ = المحاسبة رقم ٤٠، و صفة الصفوة – (٣ / ٢٥٢)

٥٦ – تاريخ الإسلام جـ١ ص١٧٥٦.

نفسي فوجدت عليها الدرك، وأنتم ترون مخالفتي لهواه وما ألقاه من الغلظة، والله ما أخذت لهم درهما، ولا لبست لهم ثوبا. (٥٧)

****

محاسبة محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله:

قال أبو بكر المنير: سمعت أبا عبد الله البخاري يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أن اغتبت أحدا. (٥٨)

محاسبة أحمد بن أبي عاصم رحمه الله

قال: وصل إلي من القضاء زيادة على أربعمائة ألف درهم لا يحاسبني الله يوم القيامة أني شربت منها ماء. (٥٩)

محاسبة سليم بن أيوب بن سليم أبو الفتح الرازي الفقيه الشافعي.

قال عنه ابن عساكر: أنه كان يحاسب نفسه على الأنفاس لا يدع وقتا يمضي بغير فائدة، إما ينسخ أو يدرس أو يقرأ وحدثت عنه أنه كان يحرك شفتيه إلى أن يلقط القلم رحمه الله (٦٠)

محاسبة أبي عبد الله الفراوي رحمه الله

قال عنه ابنه القا سم أبو محمد الحافظ كان رحمه الله مواظبا على صلاة الجماعة وتلاوة القرآن، يختم في كل ليلة ويعتكف في المنارة الـ شرقية وكان كثيرا النوافل والأذكار، وكان يحي ليلة النصف والعيدين بالصلاة والذكر وكان يحاسب نفسه على لحظة تذهب في غير طاعة. (٦١)

---

٥٧ – تاريخ الإسلام جـ١ ص١٨١٠.

٥٨ – تاريخ الإسلام جـ١ ص٢٠١٩.

٥٩ – تاريخ الإسلام جـ١ ص٢١٧٣، و سير أعلام النبلاء –(١٣ / ٤٣٣).

٦٠ تاريخ الإسلام جـ١ ص٣١٤٩.

٦١ – تاريخ الإسلام جـ١ ص٢٤.

يقول الموفق عبد اللطيف: ينبغي أن تحاسب نفسك كل ليلة إذا أويت إلى منامك وتنظر ما اكتسبت في يومك من حسنة فشكر الله عليها وما اكتسبت في يومك من سيئة فتستغفر الله منها وتقلع عنها، وترتب في نفسك ما تعمله في غدك من الحسنات وتسأل الله الإعانة على ذلك (٦٢)

وقال الفضيل بن عياض: المؤمن يحاسب نفسه ويعلم أن له موقفا بين يدي الله تعالى والمنافق يغفل عن نفسه، فرحم الله عبدا نظرا لنفسه قبل نزول الموت. (٦٣)

وكتب أبو حازم إلى الزهري: فقال: فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك وحاسبها حساب رجل مسؤول. (٦٤)

وقال كعب الأحبار وهو عند عمر (رضي الله عنه): ويل لملك الأرض من ملك السماء، فقال عمر إلا من حاسب نفسه فقال كعب: إنك مصراع الفتنة. (٦٥)

ويقول عامر بن قيس: لقيت ناسا من أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم -فأخبروني أن أخلص الناس يوم القيامة أشدهم محاسبة في الدنيا لنفسه وأن أشد الناس فرحا يوم القيامة أشدهم حزنا في الدنيا، وإن أكثر الناس ضحكا يوم القيامة أكثرهم بكاء في الدنيا. (٦٦)

محاسبة ضغيم بن مالك الراسبي ..

قال مالك بن ضغيم: حدثتني خالتي حبابة ميمونة العتكية قالت: رأيت أبا ضغيم نزل ذات ليلة من فوق البيت بكوز قد برد له حتى صبه في اكتاز من الجب ماء حارا فشرب فقلت له بأبي أنت قد، رأيت الذي صنعت فمم ذاك؛

---

٦٢ – تاريخ الإسلام جـ١ ص٤٦٣٨ .، عيون الأنباء في طبقات الأطباء – (١ / ٤٥٣)

٦٣ – تاريخ بغداد جـ٤ ص١٨٤. و تاريخ بغداد –(٤ / ١٨٤)

٦٤ – تاريخ دمشق جـ٢٢ ص٤٢، و حلية الأولياء –(٣ / ٢٤٧)

٦٥ – تاريخ دمشق جـ٤٤ ص٣٣٥] و سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي –(١ / ٤٥٤)

٦٦ – تاريخ دمشق جـ٢٦ ص٥، و جامع الأحاديث –(٣٩ / ٤٢٠)[كنز العمال ٨٧٢٣]أخرجه ابن عساكر (٤/٢٦) .

قال: كانت مني نظرة إلى امرأة فجعلت على نفسي أن تذوق الماء البارد أيام الدنيا قلت أنغص عليها الحياة. [٦٧]

****

محاسبة حيان بن أبي سنان □ رحمه الله □ .

عن عبد الجبار بن نضر السلمي قال: مرّ حيان بن أبي سنان بغرفة فقال: متى بنت هذه؛ ثم أقبل على نفسه فقال: تسألين عمالا يعنيك لأعاقبنك بصوم سنة فصامها. [٦٨]

محاسبة رياح القيسي □ رحمه الله □ ..

قال مالك بن ضغيم: جاء رياح القيسي يسأل عن أبي بعد العصر فقلنا إنه نائم فقال: نوم هذه الساعة ؛؛! أهذا وقت نوم ؟!؛

ثم ولى منصرفا فأتبعناه رسولا فقلنا قل له ألا نوقظه لك ؛ فأبطأ علينا الرسول ثم جاء وقد غربت الشمس فقلنا أبطأت جدا فهل قلت له ، قال هو اشغل من أن يفهم عني شيئا أدركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه وهو يقول أقلت أنوم هذه الساعة ؟؛ أفكان عليك ينام الرجل متى شاء وقلت هذا وقت نوم ، وما يدرك أن هذا ليس وقت نوم تسألين عما لا يعنيك وتكلمين بما لا يعنيك ، أما إن لله علي عهدا لا أنقضه أبدا لا أوسدك الأرض لنوم حولا إلا لمرض جاء بك أو لذهاب عقل زائل سوءة لك سوءة لك ، أما تستحين كم توبخين عن غيك لا تنهين ، قال وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته . [٦٩]

محاسبة هند بن عوف □ رحمه الله □

---

[٦٧] – محاسبة النفس –(رقم ٥٢)و ذم الهوى – (١ / ١٣٢)

[٦٨] **شعب الإيمان جـ٤ ص٢٧٥** ، و بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب – (١ / ٣٣٩)و ذم الهوى – (ص٤٤) محاسبة النفس – (رقم ٥٣)

[٦٩] – تاريخ دمشق جـ١١ ص٧٤٣ وتاريخ الإسلام جـ١ ص٤٨٠ وشعب الإيمان جـ٣ ص١٥٩ ومحاسبة النفس ٩٣ .

عن طلق بن معاوية قال: قدم رجل منا يقال هند بن عوف من سفره فمهدت له امرأته فراشا وكانت له ساعة من الليل يقومها فنام عنها حتى أصبح، فحلف ألا ينام على فراش أبدا. (٧٠)

****

محاسبة الأحنف بن قيس □ رحمه الله □ ...

وحكى صاحب للأحنف بن قيس قال: كنتُ أصحبُه فكان عامةُ صلاته بالليل، وكان يجيء إلى المصباح فيضع إصبعه فيه حتى يحسّ بالنّار ثم يقول لنفسه: يا حنيف! ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعتَ يومَ كذا؟(٧١)

محاسبة امرأة تحاسب نفسها وتعاتبها .

عن الشعبي قال: سمع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) امرأة تقول: -

دعتني النفس بعد خروج عمرو إلى اللذات تطلع إطلاعا

فقلت لها عجلــت فلـن تطاعي ولو طالـت إقامته رباعا

أحاذر أن أطيعك ســب نفـسي ومخزاة تحللنــي قناعا

فقال لها عمر: ما الذي منعك من ذلك؟

قالت: الحياء وإكرام زوجي فقال: عمر إن هذا الحياء لهنات ذات ألوان: من استحي اختفى ومن اختفى اتقى ومن اتقى وقي(٧٢)

محاسبة عامر بن عبد الله □ رحمه الله □

---

٧٠ – شعب الإيمان جـ٣ ص١٥٩.، و المجالسة وجواهر العلم – (رقم ٢٣٨٥)و تاريخ ابن معين – رواية الدوري – (رقم ١٦٨٥)

٧١– التخويف من النار ص٤٢.

٧٢ – محاسبة النفس ص١١٣.

عن عامر بن يساف سمعت المعلى بن زياد يقول: كان عامر بن عبد الله قد فرض على نفسه كل يوم ألف ركعة وكان إذا صلى العصر جلس وقد انتفخت ساقاه من طول القيام فيقول: «يا نفسي بهذا أمرت ولهذا خلقت يوشك أن تذهب الغيابق»

وكان يقول لنفسه: «قومي يا مأوى كل سوء فوعزة ربي لأزحفن بك زحف البعير وإن استطعت أن لا يمس الأرض من رهمك لأفعلن» ثم يتلوى كما يتلوى الحب على المقلى ثم يقوم فينادي: «اللهم إن النار قد منعتني من النوم فاغفر لي».

كان يقول لنفسه قومي يا مأوى كل سوء فوعزة ربي لأزحفنّ بك زحف البعير وإن استطعت أن لا يمس الأرض من رهمك لا فعلن ثم يتلوى كما يتلوى الحب على المقلي ثم يقوم: فينادي اللهم إن النار منعتني من النوم. (٧٣)

وعن سفيان قال: قال عامر بن عبد الله لاجتهدنّ فإن نجوت فبرحمة الله و إلا لم ألُم نفسي(٧٤)

وعن صخر بن صخر قال: قال عامر بن عبد الله: أنا من أهل الجنة أو أنا من أهل الجنة أو مثلي يدخل الجنة (٧٥)

محاسبة الأسود بن كلثوم. □ رحمه الله □

قال حميد بن هلال : كان الأسود بن كلثوم إذا مشي نظر إلى قدميه قال ودور النساء إذا ذاك فيها تواضع ، فعسى أن يفاجأ النسوة فيقول بعضهن لبعض كلا ، إنه الأسود بن كلثوم ، إنه لا ينظر فلما قرب غازيا ، قال اللهم إن هذه النفس تزعم في الرخاء أنها تحب لقاءك ، فإن كانت صادقة فارزقها ذلك ، وإن كانت كاذبة فاحملها عليه وإن كرهت فاجعل ذلك قتلا في سبيلك وأطعم لحمي سباعا وطيرا ، وقال فانطلق في طائفة من ذلك الجيش الذي خرج فيه ، حتى دخلوا حائطا فيه ثلمة ، وجاء العدو حتى قام

---

٧٣ – محاسبة النفس رقم ١٠٠، و المنتظم –(٥ / ٢٩)و التهجد وقيام الليل – (١ / ٤٤٦)و سير أعلام النبلاء – (٦ / ٣١٧)

٧٤ – الزهر الفاتح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح – (٣)

٧٥ – تاريخ دمشق –(٢٦ / ٣٤) و المحاسبة رقم ١٤٧ ، حلية الأولياء – (٢ / ٩٠)

على الثلمة ، فنزل عن فرسه وضرب وجهه فانطلق غابرا ، ثم عمد إلى ماء في الحائط ، فتوضأ منه ، وصلى وقال : تقول العجم هكذا استسلام العرب ، فلما قضي صلاته قاتلهم حتى قتل ، وعظم الجيش على ذلك الحائط وفيهم أخوه فقيل لأخيه ألا تدخل الحائط فتنظر ما أصيبت من فنظر ما أصبت من عظام أخيك ؛ قال ما أنا بفاعل شيئا دعا به أخي ، فاستجيت له (٧٦)

***

محاسبة عطاء السلمي رحمه الله

عن إبراهيم بن أدهم قال: كان عطاء السلمي إذا استيقظ، قال ويحك يا عطاء وأمك يا عطاء حتى يصبح. (٧٧)

وقال سوار أبو عبيده قالت لي امرأة عطاء السلمي: عُاتب عطاء في كثرة البكاء فعاتبته فقال لي: يا سوار كيف تعاتبني في شيء ليس هو إلي إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله عز وجل وعقابه تمثلت لي نفسي بهم فكيف لنفس تغل يدها إلى عنقها وتسحب في النار أن لا تصيح وتبكي، وكيف لنفس تعذب أن لا تبكي ، ويحك يا سوار، ما أقل عناء البكاء عن أهله إن لم يرحمهم الله عز وجل. (٧٨)

محاسبة عمر بن عبد العزيز رحمه الله

عن عطاء قال : دخلت على فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة عمر بن عبد العزيز فقلت لها يا بنت عبد الملك أخبرني عن أمير المؤمنين ، قالت : أفعل ، ولو كان حيا ما فعلت إن عمر –رحمه الله –كان قد فرغ نفسه وبدنه للناس كان يقعد لهم يومه ، فإذا أمسي وعليه بقية من حوائج يومه وصله بليله إلى أن أمسى وقد فرغ من حوائج يومه فدعا بسراجه الذي يسرج له من ماله ، ثم قام فصلى ركعتين ثم أقعى واضعا رأسه على يديه تسايل دموعه على خده يشهق الشهقة فأقول ، قد خرجت نفسه ، انصدعت كبده ، فلم

---

[٧٦] – صفة الصفوة جـ٢ ص٦٤٣ . ، المحاسبة رقم ٢٠

[٧٧] – صفة الصفوة جـ٢ ص٦٨٣.

[٧٨] – صفة الصفوة جـ٣ ص٣٢٧

يزل كذلك ليلته ، حتى برق له الصبح ، ثم أصبح صائما ، قالت فدنوت منه فقلت : يا أمير المؤمنين لشيء ما كان الليلة ما كان منك ؛ قال أجل ، فدعيني وشأني وعليك وشأنك

قالت، فقلت إني لأرجو أن اتعظ، قال: إذا أخبرك إني نظرت إلي، فوجدتني قد وُليتُ أمر هذه الأمة صغيرها وكبيرها وأسودها وأحمرها ثم ذكرت الغريب الضائع والفقير المحتاج، والأسير المفقود وأشباههم في أقاصي البلاد وأطراف الأرض، فعلمت أن الله سائلي عنهم، وأن محمد (صلى الله عليه وسلم) حجيجي فيهم، فخفت على نفسي خوفا دمعت له عيني ووجل له قلبي، فأنا كلما ازددت لها ذكر ازددت لها وجلا، وقد أخبرتك فاتعظي الآن أو دعي. (٧٩)

محاسبة مسروق بن عبد الرحمن

عن إسماعيل بن أمية، قال: قيل لمسروق: لو أنك قصرت عن بعض ما تصنع، أي من العبادة قال: «والله لو أتاني آت من ربي فأخبرني أن الله لا يعذبني لاجتهدت في العبادة» قيل : وكيف ذاك ؟ قال : « حتى تعذرني نفسي إن دخلت جهنم لا ألومها أما بلغك في قول الله تبارك وتعالى ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢] إنما لاموا أنفسهم حتى صاروا إلى جهنم واعتنقتهم الزبانية وحيل بينهم وبين ما يشتهون وانقطعت عنهم الأماني ورفعت عنهم الرحمة وأقبل كل امرئ منهم يلوم نفسه » (٨٠)

محاسبة توبة بن الصمة ﷺ رحمه الله ﷺ

تأمل في محاسبة الأخيار كيف يحاسب الواحد منهم على نفسه على أنفاسه؟ أم كيف وصلت بهم الخشية والخوف من الله إلى أن يفارق الواحد منهم الحياة فرقا من عذاب الله،

---

[٧٩] – محاسبة النفس رقم ٩٨، تاريخ دمشق –(٤٥ / ١٩٧)

[٨٠] – محاسبة النفس رقم ١١٠، و السلوك في طبقات العلماء والملوك –(١ / ٨٨)

كان توبة بن الصمة بالرقة، وكان محاسبا لنفسه فحسب فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هي واحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال: يا ويلتي؛ ألقى الملك بواحد وعشرين ألف ذنب، كيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب؛ ثم خر مغشيا عليه فإذا هو ميت، فسمعوا قائلا يقول: يالك ركضة إلى لفردوس الأعلى. (٨١)

يقول الغزالي معلّقاً على هذه القصّة: (فهكذا ينبغي أن يحاسب (العبد) نفسه على الأنفاس، وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كلّ ساعة

ولو رمى العبد بكلّ معصية حجراً في داره لامتلأت دارُه في مدة يسيرة قريبة من

عمره، ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي؛ والملكان يحفظان عليه ذلك [أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ...] [المجادلة: ٦] (٨٢).

محاسبة مجمع بن يسار رحمه الله-

عن مجمع أنه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السماء ما دام في الدنيا. (٨٣)

فكذا كانت عقوبة أولى الحزم لأنفسهم والعجب أنك تعاقب عبدك وأمتك وأهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في أمره ، وتخاف أنك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار و بغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي أعظم عدو لك ، و أشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها أعظم من ضررك من طغيان أهلك ، فإن غايتهم أن يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت أن العيش عيش الآخرة وأن فيه النعيم المقيم الذي لا آخر له، ونفسك هي التي تنغص عيش الآخرة فهي بالمعاقبة أولى من غيرها ، فإذا حاسب المرء نفسه فرآها قارفت معصية فينبغي أن يعاقبها العقوبات التي مضت وإن رآها تتواني بحكم الكسل في شيء من فضائل أو من الأوراد فينبغي أن

---

[٨١] – صفة الصفوة جـ٤ ص١٩٦ .، بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب – (١ / ٩٤) الزهد والرقائق للخطيب البغدادي – (رقم ٧٠)و تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين – (١ / ٤٦)

[٨٢] ـ الإحياء، ٥٨٩/٤

[٨٣] – إحياء علوم الدين جـ٤ ص٤٠٧.

يؤدبها بتثقيل الأوراد عليها ويلزمها فنون من الوظائف جبرا لما فات منه و تداركا لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى ...

وقال عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس، من فتنة النفس والشهوة وجاذبية الأرض والدعة والاطمئنان وصعوبة الاستقامة على صراط الإيمان والاستواء على مرتقاه من المعوقات والمثبطات في أعماق النفس هي الفتنة الكبرى. (٨٤)

محاسبة خويل بن محمد الأزدي -رحمه الله-

عن الهيثم بن عدي قال سمعت خويل بن محمد وكان عابدا يقول كأن خويلا وقف للحساب فقيل له يا خويل قد عمرناك ستين سنة فما صنعت فيها فجمع نومه سنة مع قائلة النهار فإذا قطع من عمري نوم وجمعت ساعات أكلي فإذا قطعة من عمري قد ذهبت في الأكل وجمعت ساعات وضوئي فإذا قطعة من عمري ذهبت فيه ثم نظر في صلاتي فإذا صلاة منقوصة وصوم مخرق فما هو إلا عفو الله أو الهلكة (٨٥)

محاسبة كهمس بن الحسن القيسي -رحمه الله-

عن عمارة بن زاذان قال لي كهمس بن الحسن يا أبا سلمة أذنبت ذنبا وأنا أبكي عليه أربعين سنة، قلت وما هو؛ قال: زراني أخ فاشتريت له سمكا بدانق فلما أكل قمت إلى حائط جار لي فأخذت منه قطعة طين فغسل بها يده فأن أبكي عليه منذ أربعين سنة (٨٦)

محاسبة دينار العيَّار -رحمه الله-

وروي أن رجلا كان يعرف بدينار العيار كانت له والدة تعظه ولا يتعظ فمر في بعض الأيام بمقبرة كثيرة العظام فأخذ منها عظما نخرا فانفت في يده ففكر في نفسه: وقال

---

٨٤ – ذم الهوى –(ص:٨)و غذاء الألباب شرح منظومة الآداب – (٢ / ٣٩١) بهجة المجالس وأنس المجالس – (١ / ٢٤٨)

٨٥ – صفة الصفوة جـ٢ ص٦٧٦.

٨٦ – حلية الأولياء جـ٦ ص٢١١، وصفة الصفوة ٢ ص٦٥٧.

لنفسه: ويحك! كأني بك غدا قد صار عظمك هكذا رفاتا والجسم ترابا وأنا اليوم أقدم على المعاصي فندم وعزم على التوبة ورفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي! إليك ألقيت مقاليد أمري فاقبلني وارحمني.

ثم مضى نحو أمه متغير اللون منكسر القلب فقال: يا أماه! ما يصنع بالعبد الآبق إذا أخذه سيده؟ فقالت: يخشن ملبسه ومطعمه ويغل يده وقدمه.

فقال: أريد جبة من صوف وأقراصا من شعير وتفعلين بي كما يفعل بالآبق لعل مولاي يرى ذلي فيرحمني ففعلت ما طلب.

فكان إذا جنه الليل أخذ في البكاء والعويل ويقول لنفسه: ويحك يا دينار! ألك قوة على النار؟ كيف تعرضت لغضب الجبار؟ وكذلك إلى الصباح.

فقالت له أمه في بعض الليالي: ارفق بنفسك فقال: دعيني أتعب قليلا لعلي أستريح طويلا يا أمي! إن لي موقفا طويلا بين يدي رب جليل ولا أدري أيؤمر بي إلى الظل الظليل أو إلى شر مقيل إني أخاف عناء لا راحة بعده وتوبيخا لا عفو معه.

قالت: فاسترح قليلا فقال: الراحة أطلب؟ أتضمنين لي الخلاص؟

قالت: فمن يضمنه لي؟

قال: فدعيني وما أنا عليه كأنك يا أماه غدا بالخلائق يساقون إلى الجنة وأنا أساق إلى النار.

فمرت به في بعض الليالي في قراءته ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣].

ففكر فيها وبكى وجعل يضطرب كالحية حتى خر مغشيا عليه فجاءت أمه إليه ونادته فلم يجبها فقالت: قرة عيني أين الملتقى؟ فقال بصوت ضعيف: إن لم تجديني في عرصة القيامة فاسألي مالكا عني ثم شهق شهقة مات فيها.

فجهزته وغسلته وخرجت تنادي: أيها الناس! هلموا إلى الصلاة على قتيل النار! فجاء الناس فلم ير أكثر جمعا ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم. (٨٧)

فيا مخطئاً -وكلنا ذوو خطأ-: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ الحديد:١٦)

محاسبة يزيد الرقاشي لنفسه رحمه الله-

عن أشعث بن سوار قال: دخلت على يزيد الرقاشي فقال: دخلت على يزيد الرقاشي فقال: يا أشعث تعال نبكي على الماء البارد في يوم الظمأ.

قال: وجعل يقول: سبقني العابدون وقطع بي والهفاه. وقد صام اثنتين وأربعين سنة

عن أبي إسحاق الخميسي قال: كان يقول في قصصه: ويحك يا يزيد من يترضى عنك ربك؟ ومن يصوم لك أو يصلي لك؟ ثم يقول: يا معشر من القبر بيته والموت موعده ألا تبكون؟ قال: فبكى حتى سقطت أشفار عينيه.

زهير السلولي قال: كان يزيد الرقاشي قد بكى حتى تناثرت أشفاره وأحرقت الدموع مجاريها من وجهه.

سلمة بن سعيد قال: قالوا ليزيد الرقاشي: أما تسأم من كثرة البكاء؟ فبكى وقال: والله لوددت أن أبكي بعد الدموع الدماء وبعد الدماء الصديد.

وكان يقول: ابك يا يزيد على نفسك قبل حين البكاء. يا يزيد من يصلي لك بعدك؟ أو من يصوم؟ يا يزيد من يضرع لك إلى ربك بعدك ومن يدعو؟

وكان يقول: يا إخوتاه ابكوا فإن لم تجدوا بكاء فارحموا كل بكاء (٨٨)

محاسبة زياد بن أبي زياد

---

٨٧ -التوابين لابن قدامة (ص: ١٥٣)
٨٨ - صفة الصفوة (٢/ ١٧١)

قال محمد بن المنكدر: إني خلفت زياد بن أبي زياد، وهو يخاصم نفسه في المسجد، يقول: اجلسي، أين تريدين، أين تذهبين؟ أتخرجين إلى أحسن من هذا المسجد؟ انظري ما فيه، تريدين أن تبصري دار فلان ودار فلان؟ قال: وكان يقول لنفسه: ما لك من الطعام، يا نفس، إلا هذا الخبز والزيت، وما لك من الثياب إلا هذين الثوبين، وما لك من النساء إلا هذه العجوز، أفتحبين أن تموتي؟ فقالت: أنا أصبر على هذا العيش

قال إبراهيم الزهري: جلس إلي يوماً زياد مولى ابن عياش قال: يا عبد الله، قلت: وما تشاء؟ قال: ما هي إلا الجنة والنار. قلت: والله ما هي إلا الجنة والنار. قال: وما بينهما منزل تنزله العباد. قال: فوالله إن نفسي لنفس أضن بها عن النار، والصبر اليوم عن معاصي الله خير من الصبر على الأغلال (٨٩)

محاسبة أحد الصالحين:

عن شعبة بن منصور عن إبراهيم: أن رجلا من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها، فوضع يده في النار حتى نشت. (٩٠)

عابد يحاسب نفسه.

عن البحتري بن حارثه قال دخلت على عابد فإذا بين يديه نار قد أججها هو يعاتب نفسه فلم يزل يعاتبها حتى مات (٩١)

محاسبة عابد يحاسب نفسه.

قال: الحكم بن أبان رأيت عبد الرحمن بن زامرد الأزرق وكان عابدا يقول:-

ويلي وويحي من تتابع جرمي لو قد دعاني للحساب حسيب

والويل لي ويل أليم دائم إن كنت في الدنيا أخذت نصيبي»

---

٨٩ - مختصر تاريخ دمشق (٣/ ٢١٨)

٩٠ – محاسبة النفس رقم ٤٨، و الدينار –(رقم ١٤)و التوابين – (رقم ٢٩)

٩١ – التخويف من النار ص٤٢

قال: وزاد فيه غيره:

واستيقظي يا نفس ويحك واحذري حذرا يهيج عبرتي ونحيبي [٩٢]

مجاهد يحاسب نفسه

عبدالله بن قيس أبو أمية الغفاري قال كنا في غزاة لنا فحضر عدوهم فصيح في الناس فهم يثوبون إلى مصافهم إذا رجل أمامي رأس فرسى عند عجز فرسه وهو يخاطب نفسه ويقول أي نفس ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت والله لأعرضنك اليوم على الله أخذك أو تركك فقلت لأرمقنه اليوم فرمقته فحلم الناس على عدوهم فكان في أوائلهم ثم إن العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في حماتهم ثم إن الناس حملوا فكان في أوائلهم ثم حمل العدو وانكشف الناس فكان في حماتهم قال فوالله ما زال ذلك دأبه حتى رايته صريعا فعددت به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة[٩٣]

محاسبة عابدة لنفس في بيت الله الحرام

قال وهب بن الورد بينما امرأة في الطواف ذات يوم وهي تقول يا رب ذهبت اللذات وبقيت التبعات يا رب سبحانك إنك لأرحم الراحمين يا رب مالك عقوبة إلا النار

فقالت صاحبة لها يا أخية دخلت بيت ربك اليوم فقالت والله ما أرى هاتين القدمين وأشارت إلى قدميها أهلا للطواف حول بيت ربي عز وجل فكيف أراهما أهلا أطؤ بهما بيت ربي وقد علمت حيث مشتا وأين مشتا [٩٤]

---

[٩٢] – محاسبة النفس رقم ٩٠

[٩٣] - صفة الصفوة (٤/ ٤٢١)

[٩٤] - ذم الهوى (ص: ٤٤) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (ص: ٧٧)

تفريط الخلف في محاسبة أنفسهم

أخي المسلم.... أختي المسلمة ... بعد أن رأينا الهمم العالية التي وقفت لأنفسها بالمرصاد فما من صغيرة ولا من كبيرة إلا وقد حاسبوا أنفسهم عليها.... قبل فعلها وبعد فعلها .... فألجموا أنفسهم بلجام الشرع فلم تشرد ولم تضل عن الصراط المستقيم فهؤلاء هم الأتقياء للذين عبر عنهم ميمون بن مهران □ رحمه الله □ بقوله: لا يكون الرجل تقيا حتى تكون نفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه.

ويقول: التقي أشد محاسبة لنفسه النفيسة ألست صاحبة كذا، ثم ذمها ثم خطمها ثم الزمها كتاب الله فكان لها قائدا.

وأما حال الخلف فهم أشد تفريطا وأقل محاسبة لأنفسهم بل لا تكاد ترى أحدا يحاسب نفسه، بل أطلق لها العنان تركها تنتهك المحارم وتتعدى الحدود وتضيع الفرائض فهؤلاء و صفهم الله في كتابه بقوله □وكان أمره فرطا□ قال قتادة ﴿ وكان أمره فرطا ﴾ أطاع أكبر الضيعة ، أضاع نفسه وعسى مع ذلك تجده حافظا لماله مضيعا لدينه

ـ يقول الإمام الشوكاني □ رحمه الله: -وكان أمره فرطا أي متجاوزا عن حد الاعتدال من قولهم: فرس فرط إذا كان متقدما للخيل فهو على هذا الإفراط وقيل هو من التفريط وهو التقصير والتضييع .

وقال الزجاج: ومن قدم العجز في أمره أضاعه وأهلكه. (٩٥)

ويقول أبو السعود □ رحمه الله: -في تفسيره قوله □وكان أمره فرطا□ أي: جعلناه غافلا لبطلان استعداده للذكر بالمرة وجدناه غافلا كقولك أجبنته وأبخلته إذا وجدته كذلك أو هو من أغفل أبله أي لم نسمه بالذكر عن ذكرنا كأولئك الذين يدعونك إلى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون من الدعاء في مجامع الأوقات وفيه تنبيه أن الباعث له على ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه

وجهته وانهماكه في الحسيات حتى خفي عليه أن الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد. (٩٦)

فهو في جانب الفرائض: قد ضيعها وفرط فيها، فال صلاة ربما لا ي صليها ويقول) ربك رب قلوب)، أو يصليها، ولكنه لا يؤديها في جماعة ويقول) الله غفور رحيم،) وفي جانب الزكاة لا يخرجها ... وكذا سائر الفرائض .... وفي جانب الأقوال فهو قد أطلق لل سانه العنان ولا يبالي بما يقول: في باب الاعتقاد فأقوالله تخرج دون رقيب ولا عتيدا شركا كانت أم كفرا، صدقا كانت أم كذبا، وفي جانب المحرمات فهو لا يترك صغيرة ولا كبيرة لا اجترحها، فإذا قلت له اتقي الله فإن هذا حرام، نبرى قائلا الله غفور رحيم ،لم يقرأ قوله تعالى □اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ□ [المائدة: ٩٨].

واعلم علمني الله وإياك: أن للداعي إلى التفريط في محا سبة النفس والركون إلى للدنيا ولذاتها هو اعتماد كثير من الناس على عفو الله وح سن الظن الكاذب، وذلك والله هو الهلاك بعينه، لأن من أحسن بالله الظن أطاعه وما عصاه وخافه في السر والعلانية،

---

٩٥ – فتح القدير تفسير سورة الكهف.

٩٦ – إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم، سورة الكهف

وفي تلك الأماني الكاذبة يقول ابن القيم □ رحمه الله □ ومنهم من يغترـبأن الله عز وجل غني عن عذابه لا يزيد في ملكه شيئا ورحمته لا تنقص من ملكه شيئا فيقول: أنا مضطر إلى رحمة الله وهو أغني الأغنياء ولو أن فقيرا مسكينا مضطر إلى شربة ماء عند من في داره شط يجري ما منعه منها فالله أكرم وأو سع والمغفرة لا تنق صه شيئا والعقوبة لا تزيد في ملكه شيئا.

الاغترار بالفهم الفاسد للقرآن والسنة

ومنهم من يغتر بفهم فا سد فهمه هو و أترابه من ن صوص القرآن وال سنة فاتكلوا عليه كاتكال بع ضهم على قوله تعالى □وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى □ [ال ضحى: ٥]. وهو لا ير ضى أن يكون في النار، هذا من أقبح الجهل وأبين الكذب، فإنه ير ضى بما ير ضى به ربه عز وجل، والله تعالى ير ضيه، تعذيب الظلمة والفسقة والخونة والمصرين على الكبائر، فحا شا ر سوله أن لا ير ضى بما ير ضى به ربه تبارك وتعالى وكاتكال بع ضهم، على قوله □إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ□ [الزمر: ٥٣]. وهذا أي ضا من أقبح الجهل فإن ال شرك داخل في هذه الآية فإنه رأس للذنوب ومن أي ذنب كان ، ولو كانت الآية في حق غير التائبين لبطلت ن صوص الوعيد كلها ، وأحاديث إخراج قوم من الموحدين من النار بال شفاعة وهذا إنما أتى صاحبة من قلة علمه وفهمه ، فإنه سبحانه هاهنا عمم وأطلق فعلم أنه أراد التائبين ، وفي سورة النساء خ صص وقيد فقال سبحانه □إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ □ [النساء: ٤٨] فأخبر الله سبحانه أنه لا يغفر الشرك وأخبر أنه يغفر ما دونه ، ولو كان هذا في حق التائب لم يفرق بين الشرك وغيره

وكاغترار بعض الجهال بقوله تعالى □يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ□ [الانفطار: ٦] فيقول: كرمه، وقد يقول بعضهم إنه لقن المغتر حجته وهذا قبيح وإنما غره به الغرور وهو الشيطان، ونفسه الأمارة بالسوء وجهله وهواه، وأتى سبحانه بلفظ (الكريم) وهو ال سيد العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به ولا إهمال حقه ، فو ضع هذا المغتر الغرور في غير موضعه واغتر بمن لا ينبغي الاغترار به ..

و يقول ابن القيم – رحمه الله – وكاتكال بعضهم على قوله حاكيا عن ربه أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء يعني ما كان في ظنه فانا فاعله به ولا ريب أن حسن

الظن إنما يكون مع الإحسان فان المحسن حسن الظن بربه أن يجازيه على إحسانه ولا يخلف وعده ويقبل توبته وأما المسيء المصر على الكبائر والظلم والمخالفات فإن وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه أن حسن الظن بربه وهذا موجود في الشاهد فإن العبد الآبق المسي الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به ولا يجامع وحشة الإساءة إحسان الظن أبدا فإن المسيء مستوحش بقدر إساءته وأحسن الناس ظنا بربه أطوعهم له كما قال الحسن البصري: إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل وإن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل(٩٧)

فكيف يكون يحسن الظن بربه من هو شارد عنه حال مرتحل في مساخطه! وما يغضبه متعرض للعنته قد هان حقه وأمره عليه فأضاعه وهان نهيه عليه فارتكبه وأصر عليه وكيف يحسن الظن به من بارزه بالمحاربة وعادى أولياءه ووالى أعداءه وجحد صفات كما له وأساء الظن بما وصف به نفسه ووصفته به رسله وظن بجهله أن ظاهر ذلك ضلال وكفر وكيف يحسن الظن به من يظن أنه لا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى ولا يرضى ولا يغضب وقد قال الله في حق من شك في تعلق سمعه ببعض الجزئيات وهو السر من القول﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) [فصلت : ٢٣ ، ٢٤] فهؤلاء لما ظنوا أن الله سبحانه لا يعلم كثيرا مما يعملون كان هذا إساءة لظنهم بربهم فأرداهم ذلك الظن وهذا شأن كل من جحد صفات كما له ونعوت جلاله ووصفه بما لا يليق به فإذا ظن هذا أنه يدخله الجنة كان هذا غرورا وخداعا من نفسه وتسويلا من الشيطان الإحسان ظن بربه فتأمل هذا الموضوع وتأمل شدة الحاجة إليه وكيف يجتمع في قلب العبد تيقنه بأنه ملاقى الله وأن الله يسمع ويري مكانه ويعلم سره وعلانيته ولا يخفى عليه خافية من أمره وأنه موقوف بين يديه ومسئول عن كل ما عمل وهو مقيم على مساخطه مضيع لأوامره معطل لحقوقه وهو مع هذا يحسن الظن به وهل هذا الأمن خدع النفوس وغرور الأماني وقد قال أبو أمامة بن سهل، قال: دخلت أنا وعروة بن الزبير، يوما على عائشة، فقالت: لو رأيتما نبي الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم في مرض مرضه، قالت: وكان له عندي ستة دنانير، - قال موسى: أو سبعة - قالت: فأمرني نبي الله أن أفرقها، قالت: فشغلني وجع نبي الله صلى الله عليه وسلم،

---

٩٧ – صفة النفاق وذم المنافقين للفريابي – (رقم ٩٠)و حلية الأولياء – (٢ / ١٤٤)

حتى عافاه الله، قالت: ثم سألني عنها، فقال: ما فعلت الستة ؟ قال: أو السبعة؟ قلت: لا والله، لقد كان شغلني وجعك، قالت: فدعا بها، ثم صفها في كفه، فقال: ما ظن نبي الله لو لقي الله عز وجل، وهذه عنده ([٩٨]) وفي لفظ ما ظن محمد بربه لو لقى الله وهذه عنده ﷺ

فيا لله ما ظن أصحاب الكبائر والظلمة بالله إذا لقوه ومظالم العباد عندهم فان كان ينفعهم قولهم حسنا ظنوننا بك لم يعذب ظالم ولا فاسق فليصنع العبد ما شاء وليرتكب كل ما نهاه الله عنه وليحسن ظنه بالله فان النار لا تمسه فسبحان الله ما يبلغ الغرور بالعبد وقد قال إبراهيم لقومه: ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧) [الصافات : ٨٦ ، ٨٧]﴾ أي ما ظنكم أن يفعل بكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ومن تأمل هذا الموضع حق التأمل علم أن حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه فان العبد إنما يحمله على حسن العمل ظنه بربه أن يجازيه على أعماله ويثيبه عليها ويتقبلها منه فالذي حمله على العمل حسن الظن فكلما حسن ظنه حسن عمله وإلا فحسن الظن مع ابتاع الهوى عجز كما في الترمذي والمسند من حديث شداد ابن أوس عن النبي الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز معن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله)([٩٩])

وبالجملة فحسن الظن إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاة وإما مع انعقاد أسباب الهلاك فلا يتأتي إحسان الظن فان قيل بل يتأتي ذلك ويكون مستند حسن الظن سعة مغفرة الله ورحمته وعفوه وجوده وان رحمته سبقت غضبه وانه لا تنفعه العقوبة ولا يضره العفو قيل الأمر هكذا والله فوق ذلك وأجل وأكرم وأجود وأرحم ولكن إنما يضع ذلك في محله اللائق به فإنه سبحانه موصوف بالحكمة والعزة والانتقام وشدة البطش وعقوبة من يستحق العقوبة فلو كان معول حسن الظن على مجرد صفاته وأسمائه لاشترك في ذلك البر والفاجر والمؤمن والكافر ووليه وعدوه فما ينفع المجرم أسماؤه

---

[٩٨] – مسند أحمد ط الرسالة – (٤١ / ٢٥٥)وأخرجه البيهقي في "السنن" ٦ / ٣٥٦ – ٣٥٧ وأخرجه الطبري في "تهذيب الآثار" (مسند ابن عباس) (٤١٩) ، وابن حبان (٣٢١٣) ، والبيهقي في "الدلائل" ١ / ٣٤٦و قال الألباني في السلسلة الصحيحة – (٣ / ١٢)(صحيح)

[٩٩] – جامع الأحاديث – (١٥ / ٤٥٩) أخرجه ابن المبارك (٥٥/١ ، رقم ١٧١) ، والطيالسى (ص ١٥٣ ، رقم ١١٢٢) ، وأحمد (١٢٤/٤ ، رقم ١٧١٦٤) ، والترمذي (٦٣٨/٤ ، رقم ٢٤٥٩) وقال : حسن . وابن ماجه (١٤٢٣/٢ ، رقم ٤٢٦٠) ، وأبو نعيم في الحلية (٢٦٧/١).

وصفاته وقد باء بسخطه وغضبه وتعرض للعنته وأوقع في محارمه وانتهك حرماته بل حسن الظن ينفع من تاب وندم وأقلع وبدل السيئة بالحسنة واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة ثم أحسن الظن فهذا حسن ظن والأول غرور والله المستعان

قال الله تعالى﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨) [البقرة : ٢١٨] ﴾فجعل هؤلاء أهل الرجاء لا الظالمين والفاسقين وقال تعالى﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٠) [النحل : ١١٠] ﴾فأخبر سبحانه أنه بعد هذه الأشياء غفور رحيم لمن فعلها فالعالم يضع الرجاء مواضعه والجاهل المغتر يضعه في غير مواضعه([١٠٠])

*****

ويحك يا نفس

هذه صورة من صور المحاسبة في حوار مع النفس الأمارة بالسوء يصورها الشيخ السعدي رحمه الله تعالى، فيقول على لسان الإيمان: ((ويحك يا نفس! إذا أردت أن تعصي الله فلا تستعيني بنعمه على معاصيه، فإن المعصية لا تتأتى إلا من القوة والعافية، ومَن الذي أعطاها؟ ولا تتحرك إلا من توالي الشبع، ومَن الذي يسر الأقوات وآتاها؟ ولا تكون في العادة إلا بخلوة من الخلق، ومَن الذي أسبل عليك حلمه وستره؟ ولا تقع إلا بنظره إليك، فإياك أن تستخفي باطلاعه وعلمه أما تعلمين يا نفس أن من جاهد نفسه عن المعاصي وألزمها الخير، فقد سعى في سعادتها وقد أفلح من زكاها، وأن من أطاع نفسه على ما تريد من الشر، فقد تسبب لهلاكها ودساها ؟!

ويحك يا نفس! كم بيني وبينك في المعاملة، أنت تريدين هلاكي، وأنا أسعى لك بالنجاة، وأنت تحيلين عليَّ بكل طريق يوقع في المضار والشرور، وأنا أجتهد لك في كل أمر مآله

---

[١٠٠] – الجواب الكافي – (١٢-١٥)

الخير والراحة والسرور، فهلمي يا نفس إلى صلح شريف يحتفظ كلٌّ منا على ما لَهُ من المرادات والمقاصد، ونتفق على أمر يحصل به للطرفين أصناف المصالح والفوائد.

دعيني يا نفس أمضي بإيماني متقدماً إلى الخيرات، متجراً فيه لتحصيل المكاسب والبركات، دعيني أتوسل بإيماني إلى من أعطاه أن يتمه بتمام الهداية، وكمال الرحمة، وأكمل ما نقص منه، لعل الله أن يتم علي وعليك النعمة، ولئن تركتيني وشأني لم تعترضي عليَّ بوجه من الوجوه؛ لأعطينك كلَّ ما تطلبينه من المباحات، وكل ما تؤمله النفوس وترجوه، ولئن تركتيني وشأني لأوصلنك إلى خيرات ولذات طالما تمناها المتمنون، وطالما مات بحسرتها قبل إدراكها الباطلون.

يا نفس، أما تحبين أن تُنقلي من هذا الوصف الدنيء إلى أوصاف النفوس المطمئنة التي اطمأنت إلى ربها، وإلى ذكره، واطمأنت إلى عطائه ومنعه، واطمأنت في جميع تدبيره، واطمأنت إلى توحيده والإيمان به حتى سلاها عن كل المحبوبات، واطمأنت إلى وعده حتى كانت هي الحاملة للعبد على الطاعات المزعجة له عن المعاصي والمخالفات، فلا يزال المؤمن مع نفسه في محاسبة ومنافرة حتى تنقاد لداعي الإيمان ، وتكون ممن يقال لها عند الانتقال من هذه الدار: ((يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي)) (الفجر:٢٧ ـ ٣٠)[١٠١]

خاطب نفسك وتحدث معها، وذكرها بالله، فالمؤمن الصادق هو من يحاسب نفسه على كل شيء، إن ارتطم رأسه بالباب سأل نفسه: لماذا؟ لعله ذنب عجل الله عقوبته. وإن رأى أولاده في انحلال وانحراف اتهم نفسه قبل كل شيء.

يا نفس إن العمر هو رأس مالي، فإن فني العمر فني رأس المال.

يا نفس لقد أمهلني الله تعالى إلى هذا اليوم الذي يفرح له الناس، فلو توفيت قبله لتمنيت الرجوع لتعملي صالحاً، فاعملي صالحاً ما دمت على الأرض، قبل أن تدفني تحتها وتصرخين قائلة ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] فيأتيه الجواب كالصفعة: (كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا و [المؤمنون:١٠٠]، كلمة لا وزن لها ولا عبرة لها.

---

[١٠١] - الفتاوى السعدية ص٥٩ .

ويحك يا نفس إن كنت قد تجرأت على الله، وعصيته وأنت تظنين أنه لا يراك فما أكفرك.

ويحك يا نفس إن كنت قد تجرأت على الله وعصيته وأنت تظنين أنه يراك فما أقل حياءك من الله.

ويحك يا نفس أجعلت الله أهون الناظرين إليك.

وإذا خلوت بريبة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيان

فاستح من نظر الإله وقل لها: إن الذي خلق الظلام يراني

إذا خلوت الدهر يوماً فلا تقل: خلوت ولكن قل: عليّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

لهونا لعمرو الله حتى تتابعت ذنوب على آثارهن ذنوب

فيا ليت أن الله يغفر ما مضى ويأذن لنا في توبة فنتوب

ويحك يا نفس هل وحدت الله المجيد؟ هل أخلصت له التوحيد؟ هل توكلت عليه حق التوكل؟ هل استعنت بالله وحده في كل شيء؟

يا نفس هل حافظت على الصلوات كما أمر رب الأرض والسموات؟

يا نفس هل حافظت على طاعة الرحمن في هذا الشهر شهر رمضان؟

يا نفس هل أديت زكاة مالك؟ هل تتحدثين شوقاً إلى زيارة بيت الله الغفور كما تتحدثين لهفاً عن زيارة بلاد الكفر والفجور؟

يا نفس هل قمت بواجب الوالدين كما أمر ببرّهما رب المشرقين والمغربين؟

ويحك يا نفس هل صدقت الوعد ووفيت العهد؟

ويحك يا نفس هل حزنت على مُصاب إخوانك في بقاع الأرض، وما يجتاحها من دمار على أيدي الملاحدة والكفار؟

ويحك يا نفس هل تلوت كتاب الله وتلذذت به كما يتلذذ أصحاب الغناء بغنائهم؟

ويحك يا نفس كيف يطيب لك سماع مزمار الشيطان وتغفلين عن سماع القرآن؟

النفس تنشط للقبيح وكم تنام عن الحسن

يا نفس ويحك ما الذي يرضيك في دنيا العفن

أولى بنا سكب الدموع وأن نتحلى بالحزن

أولى بنا أن نرعوي أولى بنا لُبس الكفن

أولى بنا قتل الهوى والصبر في هذا الزمن
فأمامنا سفر بعيد بعده يأتي السّكن
إما إلى نار الجحيم أو الجنانٍ جنان عدن
ويحك يا نفس إلى متى تعصين، وعلى الله تتجرئين؟ ويحك يا نفس كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب!! وكأنك لا تعلمين ما عند الله من العذاب!!
أما تخافين من الموت؟! أما تخافين من النار والأغلال والأهوال؟! أما تخافين من أن تحجبي عن النظر إلى الواحد الكبير المتعال؟!
يا نفس قد أزف الرحيل وأظله الخطب الجليل
فتأهبي لله يا نفس لا يلعب بك الأمل الطويل
فلتنزلن بمنزل ينسى الخليل به الخليل
قُرِن الفناء بنا جميعاً فلا يبقى العزيز ولا الذليل
يا نفس لا تضيعي أوقاتك ... فالأنفاس معدودة ... فإذا مضى منك مفس ... فقد ذهب بعضك ... اغتنمي الصحة قبل السقم ... اغتنمي الفراغ قبل انقضائه ... الغنى قبل الفقر ... الشباب قبل الهرم .... والحياة قبل الموت ...
يا نفس استعدي للآخرة بقدر بقائك فيها ويحك يا نفس ... إن كنت يا نفس لا تتركين الدنيا رغبة في الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فاتركيها ترفعًا عن خسّة شركائها تنزها توقيا من سرعة فنائها .... مالك يا نفس تفرحين بدنيا ... مالك يا نفس تفرحين .... بدنيا إن كانت لك فلا تخلو البلد من جماعة اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها ... فأف لدنيا يسبقك إليها هؤلاء الأخساء ... ما أقلك يا نفس وأخس همتك يا نفس ... وأسقط رأيك يا نفس ... إذا رغبت عن أن تكوني زمرة المقربين من النبيين والصديقين في جوار رب العالمين ... أبد الآبدين رغبت في أن تكوني في جنة النعيم لتكوني في صف النعال من جملة الحمقى الجاهلين .. أياما قلائل تفرحين ثم الى الأبد تعذبين فيا حسرة عليك إن خسرت الدنيا والدين .. ويحك يا نفس .. بادري بالتوبة فقد أشرفت على الهلاك .. اقترب الموت .. وورد النذير فمن ذا الذي يصلي عنك بعد الموت .. من ذا الذي يصوم عنك بعد الموت .. من يترضى عنك ربك بعد الموت ... ويحك يا نفس مالك إلا أيام معدودة وهي بضاعتك إن أتجرت فيها فزت ..

ويحك يا نفس ... قد ضيّعتي أكثر رأس المال فلو بكيتي بقية عمرك على ما ضيّعت فيها لكنت مقصرة في حق نفسك ... فكيف يا نفس ... إذا ضيّعت البقية وأصررت على المعاصي ... أما تعلمين أن الموت موعدك ... والقبر بيتك ... والتراب فراشك ... والدود أنيسك ... والفزع الأكبر بين يديك ... أما علمت يا نفس أن عسكر الموت عندك على باب البلد ينتظرون وقد آلوا على أنفسهم بالإيمان المغلظة أنّهم لا يبرحون يا نفس ... أما علمتي أن الموتى العودة ليشتغلوا بالعمل الصالح ويستدركوا ما فرط منهم ... أنت في أمنيتهم فاعملي .... يا نفس إن يوما من عمرك لو بيع منهم بالدنيا وما فيها لشروه ..... ولو قدروا عليه وأنت تضيعين أيامك في الغفلة والبطالة ويحك يا نفس .... أما تخافين ..

أما تخافين ﴿كلا إذا بلغت التراق* وقيل من راق* وظنّ أنّه الفراق* والتفّت الساق بالساق* الى ربك يومئذ المساق* فلا صدّق ولا صلى* ولكن كذّب وتولّى* ثم ذهب الى أهله يتمطى* أولى لك فأولى* ثم أولى لك فأولى﴾ [القيامة: ٢٦ - ٣٥]. ويحك يا نفس ... أما تخافين أن تبدو رسل ربك منحدرة إليك بسواد الألوان وكلح الوجوه ... وبشري العذاب ...أما تخافين؟ أما تذّكرين .....؟ هل تذكرين .....؟ هل ينفعك ساعتها الندم ...؟ أو يقبل منك الحزن .....؟ أو يرحم منك البكاء ... ويحك يا نفس ... ويحك يا نفس تعرضين على الآخرة وهي مقبلة عليك ... وتقلبين عن الدنيا وهي معرضة عنك ... !

يا نفس .... كم مستقبل يوما لم يستكمله .... ؟ وكم من مؤمل غد لم يبلغه ..... ؟ وتشاهدين في ذلك الموتى ولا تعتبرين ....

احذري يا نفس .... احذري يوما ترجعين فيه إلى الله فتوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .... احذري يا نفس ذلك اليوم فقد آل الله على نفسه ألا يترك عبدا أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله. فانظري يا نفس بأي أمر تقدمين .... وبأي لسان تجيبين .... أعدي للسؤال جوابا .... انظري يا نفس إلى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا .... ورفضك لها اختيارا .. وطلبك للآخرة ابتدارا .... يا نفس اتركي الدنيا مختارة قبل أن تتركيها مضطرة ....

يا نفس كيف أقول لربي غدا إذا سألني عن عملي .... ؟ ووضح لي طريقي .... ؟ إذا نلت كتابي بشمالي .. ؟ ونادى ربي يوم القيامة وقد غضب غضبا شديدا لم يغضب مثله قط .... ولن يغضب بعده مثله

الفهرس

المقدمة ٣

الفصل الأول: فضل المحاسبة والحث عليها.....٦

حث السلف على محاسبة النفس.....٩

الفصل الثاني: أنواع المحاسبة وفوائدها.....١٣

المقام الأول من المرابطة: المشارطة ١٤

المقام الثاني: مقام المراقبة.....١٦

المقام الثالث: المحاسبة بعد العمل.....١٦

المقام الرابع: معاقبة النفس على تقصيرها.....١٧

المقام الخامس: المجاهدة.....١٩

النوع الثاني: محاسبة النفس بعد العمل وهو ثلاثة أنواع: -.....٢٠
أركان المحاسبة.....٢١
فوائد المحاسبة.....٢٤
الـفـصل الثالث: حـرص السلف على المحاسبة وتفـريط الخـلف.....٢٧
حرص أبي بكر (رضي الله عنه) ٢٧
محاسبة عبد الله بن رواحة (رضي الله عنه). ٢٧
. محاسبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ٢٧
حرص أبي بكرة (رضي الله عنه) ٢٨
محاسبة تميم الداري (رضي الله عنه) ٢٩
محاسبة مالك بن دينار. (رحمه الله).....٢٩
محاسبة إبراهيم التيمي □ رحمه الله □
.....٢٩
محاسبة أبي بكر المزني □ رحمه الله: -
.....٢٩
محاسبة مالك بن دينار □ رحمه الله:
.....٣٠
محاسبة أيوب السختياني □ رحمه
الله.....٣٠
محاسبة سعيد بن السائب □ رحمه الله □
.....٣٠
محاسبة يونس بن عبيد □ رحمه الله:
.....٣٠
محاسبة حمد بن واسع □ رحمه الله:
.....٣٠
محاسبة ثابت البناني □ رحمه الله □
.....٣٠
محاسبة غزوان بن غزوان الرقاشي.....٣١

محاسبة يحيى بن يحيى □ رحمه الله □
.....٣١
محاسبة الإمام سحنون □ رحمه الله □
.....٣١
محاسبة محمد بن إسماعيل البخاري □ رحمه الله:
.....٣٢
محاسبة أحمد بن أبي عاصم □ رحمه
الله.....٣٢
محاسبة سليم بن أيوب بن سليم أبو الفتح الرازي الفقيه الشافعي. ٣٢
محاسبة أبي عبد الله الفراوي □ رحمه
الله.....٣٢
محاسبة ضغيم بن مالك الراسبي ٣٣
محاسبة حيان بن أبي سنان □ رحمه الله □
.....٣٤
محاسبة رياح القيسي □ رحمه الله □
.....٣٤
محاسبة هند بن عوف □ رحمه الله □
.....٣٤
محاسبة الأحنف بن قيس □ رحمه الله □
.....٣٥
محاسبة امرأة تحاسب نفسها وتعاتبها ٣٥
محاسبة عامر بن عبد الله □ رحمه الله □
.....٣٥
محاسبة الأسود بن كلثوم. □ رحمه الله □
.....٣٦
محاسبة عطاء السلمي □ رحمه الله.....٣٧

محاسبة عمر بن عبد العزيز □ رحمه الله □

.....٣٧

محاسبة مسروق بن عبد الرحمن.....٣٨

محاسبة توبة بن الصمة □ رحمه الله □

.....٣٨

محاسبة مجمع بن يسار □رحمه الله-

.....٣٩

محاسبة خويل بن محمد الأزدي □رحمه الله-

.....٤٠

محاسبة كهمس بن الحسن القيسي □ رحمه الله-.....٤٠

محاسبة دينار العيَّار□ رحمه الله-.....٤٠

محاسبة يزيد الرقاشي لنفسه□ رحمه الله-

.....٤٠

محاسبة زياد بن أبي زياد.....٤٢

محاسبة أحد الصالحين: ٤٣

محاسبة عابد يحاسب نفسه ٤٣

مجاهد يحاسب نفسه ٤٣

محاسبة عابدة لنفس في بيت الله الحرام ٤٤

تفريط الخلف في محاسبة أنفسهم.....٤٥

الاغترار بالفهم الفاسد للقرآن والسنة.....٤٦

ويحك يا نفس.....٥٠

الفهرس ٥٥

□

□

□

□الإصدار الثاني عشر

□من

سلسلة حرص السلف وتفريط الخلف

- حرص السلف على الغيرة على دينهم وأعراضهم
- وتفريط الخلف